فـى الساعـة الحاديـة عشرة مـن صباح يـوم الأربعاء ٢٢ من رمضان سنة ١٤١٠ هـ (الموافق ١٨ من أبريل سنة ١٩٩٠ م) أقام المجمع حفل استقبال لعضويه الجديدين الأستاذ إبراهيم الترزى ، والدكتور عبد الرحمن السيد وفيما يلـى نص الكلمات التى ألقيت فى الحفل

كلمة الأستاذ الدكتور شوقى ضيف الأمين العام للمجمع فى حفل استقبال عضو المجمع الجديد الأستاذ /

إبراهيم الترزى

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الدكتور رئيس المجمع
الزملاء الأجلاء
السيدات والسادة :

امتلك ذخيرة غزيرة من اللغة بشتى فروعها ، ومن الأدب بشتى فنونه ، ودبّج كثيرا من المقالات والبحوث الأدبية القيّمة ، وتوفر على خدمة اللغة ومعاجمها خدمة مثمرة ، وحقق بعض نفائس التراث واللغة ، مع تعليقات ومراجعات سديدة ، واقتحم عقبة الدراما مع فيضٍ من مسلسلات تمثيلية ممتعة ، ومع إدراك بصير لمواطن الجمال في الكلمة ، وحسن الصياغة ونصاعة البيان . ذلك هو الأستاذ إبراهسم الترزى الذى يسعدنى أن أنوب عن المجمع فى استقباله عضواً عاملاً فيه ، ليُسهم بعطائه فى أعماله المجمعية واللغوية .

ولد فى قرية بنى عامر بمحافظة الشرقيه عام سبعة وعشرين وتسعمئة والف ، ونشأ بها وبعزبة الترزى ، واختلف إلى مدرسة القرية الأولية ، برعاية جدّه العالم الأزهرىّ الجليل الشيخ محمد بسيونى العامرىّ ، الذى تعهّده تَعَهُّدَ دينٍ وخُلقٍ قويم ، وأشار على والده أن ينتظم فى كُتّاب القرية ليحفظ القرآن الكريم ؛ توطئةً لالتحاقه بالتعليم الأزهرىّ ، وكان بَصَر الجَدّ قد أصابه الكَلال ، وكانت له مكتبة حافلة بالكتب الدينية والأدبية ، فكان يطلب من حفيده الصغير إبراهيم أن يقرأ له فى هذا الكتاب أو ذاك ، مثل إحياء علوم الدين للإمام الغزالىّ ، والوسيلة الأدبية للمرصفىّ ، وعصر المأمون للرفاعىّ ، وحياة محمد لهيكل ، فتعرّف إبراهيم على هذه الكتب وأمثالها مبكراً . وكان يقرأ لجَدّه المقالات فى الصحف والمجلات الأسبوعية والشهرية : الهلال والمقتطف والبلاغ الأسبوعى .

وكل هذا كان له أثر بعيد فى نشأته . وأكمل القرآن الكريم فى عام واحد وأربعين وتسعمائه وألف ، فالتحق بمعهد الزقازيق الدينى وأخذ يتلقى فيه العلوم الابتدائية ، وكان المعهد يحتفل بمطلع العام الهجرىّ ، وكان الطالب النجيب إبراهيم يشارك فى هذا الاحتفال النبوىّ بقصيدة يُنشدها فيه ، من ذلك قصيدة ألقاها فى عام ثلاثة وأربعين والحرب العالمية يتعالى أوارُها فى الغرب ، فاستهلّ القصيدة مخاطبا العام الهجرى الجديد بقوله :

أأتيتَ بالبُشرى هُدًى وسلاما
أم جئتَ تنشر بيننا الآلاما ؟
ياعامُ خَبِّرْنا ؛ فقد ضَلَّ الورى
والأفقُ مصبوغٌ دماً وضراما

وهى باكورة تُبشر بمستقبل أدبىّ زاهر وكان يعكف خلال دراسته بمعهد الزقازيق بقسميه : الابتدائى والثانوى على قراءة الشروح والحواشى ويرى ما فيها من أخْذٍ وردٍّ من الأفكار والآراء ، ويناقش شيوخه فيما يعرضونه من استنباطات واستنتاجات وكان لذلك أعمق الأثر فى صقل ذهنه وشحذه .

ثم أنهى دراسته الثانوية فى معهد الزقازيق سنة خمسين وتسعمئه وألف ، وكانت قد نشأت فى نفسه رغبة شديدة فى متابعة دراسة الأدب فآثر الالتحاق بكلية دار العلوم لينال منها حظًا وافرا ، وكان بها صفوة من الأساتذة مثل عباس حسن ، وحامد عبد القادر ، وإبراهيم أنيس ، ومحمد غنيمى هلال ، وعلى النجدى ناصف ، وأحمد الحوفى ، ومحمود قاسم ، وعلى حسب الله ، وضياء الدين الريس ، ومحمد حلمى أحمد ، فأخذ ينهل من محاضراتهم ، ويتزود من علمهم ، وكان دائماً فى طليعة طلاب الدار من رفاقه . ولفت نظر أساتذته بمقال كتبه وهو ما يزال فى السنة الأولى ؛ إذ كان الحديث قد كثر حينئذ عن أثر الحضارة الإغريقية فى العالم شرقيِّه وغربيِّه ، بمناسبة منح جامعة أثينا الدكتوراه الفخرية لوزير المعارف طه حسين ، وكان إبراهيم قد قرأ الكثير عن حضارة مصر الفرعونية وعن أثرها فى الحضارة اليونانية فامتلأت نفسه فخرا واعتزازا ببلده مصر وحضارتها ، وكتب مقالا بعنوان « مصر واليونان » وأرسل به إلى الأستاذ الزيات صاحب مجلة (الرسالة) فنشره بها فى عدد أبريل عام واحد وخمسين وتسعمئة وألف وهو استهلال طَيِّب يُصور قدرته على البحث الأدبىّ .

وتخرَّج فى الدار سنة أربعة وخمسين وتسعمئة وألف حاصلاً منها على شهادة الليسانس الممتازة ، ودار العام دورته فنال دبلوم معهد التربية العالى للمعلمين بجامعة عين شمس ، وأصبح مدرساً للغة العربية بالمدرسة الإنجليزية بمصر الجديدة ، وظل بها بضع سنوات . ولم يشغله التدريس عن اهتماماته وطموحاته الأدبية ، فأخذ منذ سنة سبعة وخمسين وتسعمئة وألف يسجل بعض صور وكتابات أدبية فى الإذاعة ، وأخذ ينشر فيما بين عامى تسعة وخمسين وثلاثة وستين مقالات أدبية قيمة فى صحيفة (المساء) وقد تحدث فى هذه المقالات عن بعض الرحالة العرب عارضا

المشاهد الطريفة التى رأوها فى رحلاتهم وخطواتهم فى أفريقيا وآسيا ، مثل عبد اللطيف البغدادى ، وعرض بالتفصيل ما كتبه عن مصر ، ومثل ابن جبير الأندلسىّ الذى ارتحل عن بلده بقصد الحج ، فسمىٌّ رحلته باسم (رحلة الغفران) ، كما صور بطولة صلاح الدين فى موقعة (حطين) ودقّه لأعناق الصليبيين ، وصور بطولة المصريين فى معركة المنصورة ، وتمزيقهم لجيش لويس التاسع ملك فرنسا وقبضهم عليه ، وحبسهم له فى المنصورة بدار ابن لقمان صاغرا ذليلا ، وتحدث عن عمر المختار بطل ليبيا وكفاحه المرير المستميت ضد الاستعمار الإيطالى الباغى إلى أن حُكم عليه حكما ظالما بالإعدام فكان هذا الحكم ، وصمة عار لا تمحى من جبين الاستعمار الطاغى الأثيم وفى مقال بعنوان (أمراء فى المزاد) تحدث عن الموقف الشجاع الرائع للفقيه القاضى العزّ بن عبد السلام من الظاهر بيبرس فى مبايعته سلطانا على مصر ، والمماليك من حوله يحفُّون به ، إذ أعلن استرقاق بعضهم واستحقاقهم للبيع فى مزاد علنىّ ، تُردُّ أمواله إلى خزانة الدولة لينتفع بها الشعب ، وصور الأستاذ إبراهيم الترزى بهذا الموقف شجاعة علمائنا الأسلاف وكيف كانوا يقفون فى وجوه الحكام حين كانوا ينحرفون عن الطريق السَّوِىّ فى الحكم ، أو عن العدل الذى لا تصلح حياة الشعوب بدونه ثم تحدث إبراهيم الترزى عن (سلطان العاشقين) ابن الفارض ، وتنسّكه فى مكة أعواما متصلة ، والحب الصوفى يضىء جوانب نفسه ثم يعود إلى مصر مستغرقا فى هذا العشق الصوفى .

كما نشر بحثا أدبيا فى الشاعر عبد الرحمن شكرى ، وبحثا آخر فى بعض آراء ابن خلدون رائد علم الاجتماع ، إلى غير ذلك من مقالات وبحوث أدبية تصّور قدرته على دراسة الشخصيات الفذّة من أسلافنا رحّالةً أو أبطالا أو أدباء بارعين دراسة متعمقة شائقة ، وجدير بالذكر أن أذكر له بحثين نشرهما فى مجلة (المجلّة) عن عبد الرحمن الكواكبى صاحب (طبائع الاستبداد) و (أم القرى) ، وأبى خليل القبانى رائد المسرح العربى .. وفى سنة إحدى وستين آثَرَ على الدخل المادىّ من المدرسة الإنجليزية الدخل المحدود الذى يقوته ، فى بيئة علمية يجد فيها متاعه المعنوى والفكرى ، حين يختار العمل فى المجمع محرراً بالمعجم الكبير ، ويرقى إلى وظيفة محرر أول ، فنائب رئيس التحرير ، فرئيس التحرير وما يزال يرقى بالسلم

الوظيفى حتى أصبح الآن رئيسا لقطاع المجمع .

وللأستاذ إبراهيم الترزى فى مجال الأدب الدرامى فيض من التمثيليات والمسلسلات للإذاعتين المسموعة والمرئية يتناول العديد من أعلام تاريخنا الأدبى والدينى والسياسى ، وتتجلى فى أدبه الدرامى سعة خياله ، وبراعته فى تصوير شخصيات أبطاله ، وربطها بعصرها وبيئتها ومجتمعها ، وما بين ذلك وبين أبطاله من تأثير وتأثر ، من خلال الأحداث الدرامية ، وتطور شخصياتها ، وما يعالجه من مشكلات إجتماعية وقضايا فكرية وسياسية ودينية .

وأكثر هذه التمثيليات والمسلسلات تقع فى ثلاثين حلقة ومنها على سبيل المثال :

- الإمام أبو حنيفة
- الإمام مالك
- الإمام الشافعى
- الإمام أحمد بن حنبل

* الإمام البخارى
* الإمام الغزالى
* الخليل بن أحمد
* الجاحظ
* قضاة العرب
* شاعرات عربيات
* ظرفاء من مصر
* ليالى أبى حيّان التوحيدى
* طوق الحمامة
* عباس بن فرناس
* الشريف الإدريسى
* أبو بكر الرازى
* عبد الرحمن الكواكبى
* الجزار الشاعر
* مجالس هارون الرشيد
* ابن تيمية

والأستاذ إبراهيم الترزى يؤكد بذلك قدرة لغتنا الفصحى على المعالجة الدرامية فى تصوير الأحداث ، ورسم الشخوص ، وإجراء الحوار الدرامى بينها وهو حوار يعبر عن الشخصية والموقف والحدث بلغة يفهمها أوساط الناس بل عامتهم .

ولنضرب مثلا لهذا التأليف الدرامى من خلال مسلسل (ابن تيمية) التلفزيونى فإنه يصور فيه إجتهاداته الفقهية واجتهاداته الاجتماعية والسياسية وما قاساه فى حياته العملية من الحكام ومواقفه الثابتة الصّلبة فى آرائه ، ودفع الناس من حوله فى الشام للتنكيل بالتتار والصليبيين . وابن تيمية لا يدعو فى

المسلسل للجهاد ضد أعداء الدين فحسب ، بل يدعو للجهاد ضد الظلم الاجتماعى ، وضد ما أمنوا به خطأً من بدع وخرافات ، مصوراً فى ذلك كله جوانب من حياة الشعوب العربية المعاصرة .

ونسوق مثلا ثانياً لنموذج دراميّ تلفزيونى هو أبو الحسن (الجزار الشاعر) الذى عاش فى عصر المماليك وكان يحترف الجزارة وعانى صراعا مريراً بين حرفته وشعره ، ويُكسب هذا الصراع المسلسل حيويةً وحرارةً . وقد عالج الأستاذ الترزى فى هذا المسلسل قضية اجتماعية يعانى منها المجتمع فى أيامنا هذه ، هى قضية ارتفاع الأسعار وجشع التجار جشعاً لا حدَّ له ، بما يربحون من أموال طائلة ، ويتألم أبو الحسين من أمر هؤلاء التجار الجشعين تألما شديدا الى أن ينتصر عليهم مع صديقه المحتسب مراقب الأسواق نصراً حاسماً .

وكل هذه الأعمال الدرامية التى كتبها الأستاذ إبراهيم الترزى كتبها بفصحى ميسرة سهلة ، ولا أشك فى أن الأستاذ الترزى ما استكثر منها إلاّ ليردَّ بها على أعداء الفصحى القائلين بأن الفصحى لاتصلح أداة للحوار بين الشخوص فى المسرح والسينما والإذاعة المسموعة والمرئية ، إنما الذى يصلح لذلك العامية لغة الجماهير اليومية ، وما كانت الفصحى الميسرة مستعصية على الجماهير ، إذ هى لغة دينها وهويتها العربية وشخصيتها القومية ، والدعوة إلى العامية إن هى إلا ضوضاء يشوش بها أعداء الفصحى ، بل هى حرب دائرة سافرة حتى تنعزل الفصحى عن حياتنا وتصبح لغة أجنبيه غريبة على أبنائها .

وقد نبه مجمعنا لذلك من قديم ، فوضع نصب عينيه العمل على تبسيط قواعد الفصحى النحوية واللغوية وسيظل يعنى بذلك حتى يُمكّن الفصحى من أن تصبح فى الغد القريب لغة التخاطب الشائعة وما الغد ببعيد . وجدير بى أن أنوه بالجهد الذى يبذله الأستاذ إبراهيم الترزى بمساهمته فى تأليف كتب اللغة العربية للمرحلتين الإعدادية والثانوية بوزارة التربية والتعليم ، كما أنه اختير قديماً عضواً فى لجنة تطوير تعليم اللغة العربية بالوزارة ، كما اختاره المركز القومى للبحوث التربوية عضوا فيه .

وكان طبيعيا وقد ظل بالمجمع نحو ثلاثين عاما معنياً بشئون التحرير فيه - أن تتكاثر أعماله المجمعية ، منها مراجعته لمحاضر جلسات المجلس والمؤتمر من عام تسعة وستين إلى ثمانية وثمانين ، ومنها عمله المستمر بالمعجم الكبير وإعداده لكثير من مواده ، ومنها اشتراكه مع الأستاذ الجليل محمد شوقى أمين عضو المجمع فى أخراج مجموعة أعمال

لجنة الألفاظ والأساليب من عام أربعة وثلاثين إلى عام سبعة وثمانين وأيضا إخراج مجموعة القرارات العلمية فى خمسين عاما . ومن ذلك أيضا كتاب الأستاذ الترزى (التراث المجمعى فى خمسين عاما) الذى سجل فيه تسجيلا دقيقا عناوين كل ما ألقاه أعضاء المجمع منذ إنشائه ، من بحوث علمية قيمة ، حيث وزعها على الموضوعات اللغوية والأدبية والعلمية والحضارية ومع كل بحث اسم صاحبه وموضعه من مطبوعات المجمع ، بحيث أصبح الاطلاع على تلك البحوث ومعرفة مواضعها من محاضر المجمع ومجله ودورياته أمراً ميسراً للباحثين كل التيسير .

وبقى جانب مهم من أعمال الأستاذ الترزى جدير بكل شكر وثناء هو أعماله اللغوية الخالصة فى تحقيق التراث وإحياء بعض كنوزه ، منها المشترك ومنها الخاص ، أما المشترك فهو الجزء الرابع من كتاب (سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد) للصالحى ، وهى سيرة نبوية نفيسه ، ومن المشترك أيضا تحقيق الجزء الخامس عشر من كتاب (تاج العروس فى شرح القاموس) للزبيدى الذى تُصدره وزارة الإعلام بالكويت .

وأما الخاص بتحقيقاته القيمة فهو تحقيق الجزء العاشر من معجم تاج العروس ، وتحقيقه الجزء الثانى والثلاثين من هذا المعجم .

وأخيراً أذكر أن المجمع تقديراً منه لخدمات الأستاذ الترزى اللغوية أسند إليه رئاسة تحرير مجلته منذ سنة أثنتين وسبعين وأنه ليضطلع بذلك راضياً مرضيا .

ولعلى بهذا الحديث أكون قد وفقت فى إبراز الجهود الأدبية واللغوية التى بذلها الأستاذ الترزى ، وأنفق فيها حياته مخلصا مثابراً ، وإنى لأهنئه تهنئة خالصة صادقة بعضوية المجمع العاملة والتنويه باسمه فى سجلّ الخالدين ، سائلا الله له التوفيق والسداد .

شوقى ضيف
الأمين العام للمجمع

* كلمة الأستاذ ابراهيم الترزي .

عضو المجمع الجديد

بسم الله الرحمن الرحيم

استاذى الجليل رئيس المجمع :

أساتذتى وزملائى الأجلاء :

أيها السادة الأعزاء :

سلامُ الله عليكم ورحمته وبركاتُه ، وبعد

فلم يكن فى حسابى أن أقف اليومَ هذا الموقف .. ويشهدُ اللهُ كم دافعتُ رغبةَ أصدقاءٍ من أساتذتى أعضاءِ المجمع .. هَمُّوا بترشيحى لعضويته طَوالَ سنوات .. خشيةَ أن يكون حبُّهم لِى قد زَيَّنَ لهم هذا الترشيح .. وإشفاقاً على نفسى أن أقْعُدَ مَقْعَدَ صِدْقٍ بين الخالدين !

ولكنهم – فى هذه الدورةِ المجمعية – أخَذُونِى أَخْذاً نبيلاً جميلا ، لا يقْبلُ تحويلاً ولا تأجيلا .. وتساقَطَتْ أعذارى المتوسِّلةُ أمامَ إصرارهم الكريم !

ثم فاجَأنى نبأُ انتخابى بثقتهم الغامرة .. فما وَجَدْتُ لها كِفاءً من شُكران .. ولا وفاءً بحقِّها من عِرفان .. وأدركنى العجز .. ولعلَّ العجزَ عذر !

أما أستاذى الجليل .. الدكتور شوقى ضيف .. فقد أضْفَى علىَّ من تقديره ما جَعَلَنِى أشَدَّ عجزاً عن شكره !

ولا يَفُوتُنِى أن أُنَوِّهَ بفضلِ توجيهه لِى .. حين أخذتُ نفسى بالكتابةِ فى هذا الفنِّ من الأدب الدرامىِّ .. للإذاعةِ المسموعةِ والمرئية .. فقد كنتُ أخشى أن يَجْتَذِبَنِى ، ويستغرق طاقتى الأدبية .. ولكن أستاذى قال لِى : هذا فنٌّ من الأدب جديد ، قريب من الأدب المسرحىِّ .. فلمَ لاتَمْضِى فيه .. ثم تنشرُهُ على الناس فى كُتب مطبوعة .. فيكونَ لك شرفُ الرِّيادةِ لهذا الفنِّ بلغتنا الفصحى ، فى الأدب العربىِّ المعاصر .. وهأنذا قد مضيتُ فى هذا الفنِّ الدرامىِّ .. أُشَرِّقُ وأُغَرِّب .. ولا أدرى ماذا حَقَّقْتُ من أمل أستاذى الجليل !

وإنى فى موقف العجز عن شكره .. وشكر أساتذتى الأعضاء .. لا يَسَعُنِى إلا أن ألجأ إلى الله تعالى أن يجزيَه ويجزيَهم عنى أحسنَ الجزاء ، وأن يجعلنى أهلاً لما أسْبَغُوا علىَّ من ثقة .. جديراً بما تَوَسَّمُوا فِىَّ من ظنٍّ كريم !

أيها السادة :

ليستْ عضويةُ المجمعِ شرفاً تَتَشَوَّفُه الآمال .. وإن بلغت الغايةَ من الشرف !

وليستْ عضويةُ المجمعِ جاهاً علميًا وأدبيًا تَطْمَحُ إليه الصفوةُ من العلماء والأدباء .. وإن فاقت كلَّ جاهٍ علمىٍّ وأدبىّ !

وليستْ عضويةُ المجمعِ مكانةً رفيعةً .. تَهْوِى إليها أفئدةُ أعلامِ الفكر .. فى مصر .. وغير

مصر .. من عربٍ ومستعربين .. وإن طاولتْ هذه العضويةُ فى سُمُوِّها كلَّ مكانةٍ لهؤلاء الأعلام .. فى الشرق والغرب !

ليستْ عضويةُ المجمعِ هذا كلَّه فحسب ..

فهى تبعةٌ ثقيلةٌ جليلة .. تَنُوءُ بالعلماء أولى القوة !

وهى عمل دَءُوبٌ متواصل .. لايَعْتَريه كلالٌ ولا مَلال !

وهى هجرةٌ من شَواغلِ الحياةِ إلى محراب العربية ..

ولكنها هجرةٌ لاتعتزِل .. بل تَتَّصِل !

ولا تغترب .. بل تقترب !

ولا تنغلق .. بل تنطلق !

فهؤلاء الشيوخُ المجمعيون حين يعكُفون فى محرابهم على مناسكهم المجمعية .. فى مجلسهم ومؤتمرهم .. إنما يُعالجون هُمومَنا اللغوية .. ويَتَصدَّونَ لأشدِّ قضاياها إلحاحا .. ويمدُّوننا بعطاءٍ سَخِيٍّ من المعجمات والمصطلحات .

وعضويةُ المجمع بعد هذا كلِّه .. بل قبل هذا كلِّه .. رسالةٌ من أجلِ لغةٍ يكفيها شرفاً أن الله اصطفاها لتكونَ لغةَ كتابه الكريم .. وليس بعد هذا تشريفٌ لهذه اللغة .. ولمن يُؤَدُّون رسالتَها من الخالدين !

أيها السادة :

جَرَت السُّنَنُ المجمعيةُ على أن يتحدث الخَلَفُ عن السَّلَف .. فيتحدث العضوُ الجديدُ عمن شَغَلَ الكرسيَّ الذى اختير له .

وقد أنْعَمَ اللهُ عليَّ بأن أشْغَلَ كرسيًا .. له مكانةٌ مرموقةٌ بين الكراسيِّ المجمعية .. وتاريخٌ عريق !

فهو من الكراسيِّ العشرين .. المؤسِّسةِ لكراسيِّ المجمع .. حيث أعدَّتْ للفوج الأولِ من المجمعيين المؤسِّسين !

وقد استَوَى على هذا الكرسيِّ علاَّمةٌ فَذٌّ .. من جَهابذةِ العربيةِ وسَدَنَتِها : هو المرحوم الأستاذ أحمد العوامريّ .

امتدَّ عمرُه المجيد .. فظلَّ يَشْغَلُ هذا الكرسيَّ أكثرَ من عشرين عاما .. يُمِدُّ المجمعَ ببحوثه وتحقيقاته اللغوية .. ويُرْسِى قواعدَ العمل المجمعيِّ على أساسٍ ثابتٍ مَكِين !

******

ثم أعتلَى الكرسيَّ شيخٌ جليلٌ مَهيب .. تَرْبِطُه بسلفه وَشيجةُ نَسَبٍ للغة العربية .. والعربيةُ رَحِم !

ذلكم هو المرحوم الشيخ محمد على النجار .

وقد أسعدنى حظّى فأتاح لِى أن أرى الشيخ .. وأسمعَ منه .. وآخذَ عنه !

فهو من أوتادِ اللغةِ الرّواسِى .. وحُماتِها البواسل .. ظَلَّ فى رِباطِ العربيةِ طوَالَ حياته .. يَتَرَصَّدُ ما يَتَسلَّلُ إلى حِماها من كلِّ قولٍ دخيل .. أو دَعِيٍّ هَجِين .. أو زائغٍ مارق .. فيتصدَّى له .. ويَرُدُّه عن حِمىَ العربية خاسئاً مَدْحُورا !

ومن يَشَأْ أن يَطَّلِعَ إلى جَوْلاته وصَوْلاته فى سبيل العربية .. فعليه بكتابيْه : « أغلاط شائعة » و « لغويات » ٠

ولشيخِنا النجارِ فى إحياء التراثِ اللغوىِّ باعٌ طويل .. وله فى لجان المجمع اللغوية نشاطٌ مشهودٌ محمود !

*****

ومن بعدِ شيخنا النجار .. دَلَفَ إلى الكرسىِّ شيخٌ وَدُودٌ سَمْحٌ نبيل .. من أعلام الاقتصاد والقانون :

هو المرحومُ الدكتور عبدُ الحكيم الرفاعى ٠ وهو من الرُّوَّاد الذين جعلوا العربيةَ تَغْزُو ميداناً علميًّا جديدا .. هو ميدانُ الاقتصادِ السياسىِّ وعلوم المال ، حيث عَمِلَ على خَلْقِ لغةٍ اقتصاديةٍ ومالية ، تستخدمُ الألفاظ والأساليبَ بحساب .. وَتزنُها بميزانٍ ذهبىٍّ دقيق !

ويشهد المجمعُ بجُهدِه العظيم فى إعداد مصطلحات الاقتصاد .. وإسهامه العلمىِّ فى لجان المجمع ومجلسه ومؤتمره !

كما تَشهدُ مصرُ والمحافلُ الدوليةُ ببراعته الفَذَّة .. فى معالجة الكثير من المشكلات الاقتصادية .. المحلية والعالمية !

*****

ثم استقبل الكرسىُّ مِن بعده .. آخِرَ الشيوخ الذين اسْتَوَوْا عليه .. وهو شيخٌ جليل جَسُور .. تتجلَّى فيه رُوحُ المُقاتِل العنيد :

ذلكم هو المرحوم الأستاذ محمد عبد الله عنان ٠

ظَلَّ طَوال حياته شاهرَ القَلَم .. لايَسْتَقِرُّ ظِلُّه فى مكان .. ولا تَفِىءُ همَّتُه إلى راحة .. لايتراجعُ عن قضية يُؤمنُ بها .. ويخوضُ الغَمراتِ من أجلها .. حتى يُبْلِغَها مَأمَنَها من العدل والحق !

ولعلَّ دراستَه القانونَ كان لها أثرُها العميقُ فى توجيه طاقاته ومَلَكاته إلى قضايا عصره .. وقضايا التاريخ !

بل إنه وُلِد والحركةُ الوطنيةُ المصريةُ فى مخاضها – حين كان القرنُ التاسعَ عَشَرَ يُوشِك على الرحيل – وقد تَوَلَّدت منها قضيةٌ كبرى

أخذتْ تُهَيْمِنُ على أبناء مصر .. هي قضيةُ الانتماء المصريّ .. حيث مضى فريقٌ منهم يُناضلُ الاحتلالَ الإنجليزيَّ مؤمنًا بانتماء مصرَ إلى الخلافة العثمانية ، والجامعةِ الإسلامية .. ومضَى فريقٌ آخَرُ في نضاله مؤمناً بانتماء مصرَ إلى مصر .. التي تَضْرِبُ بجذورها إلى عهد الفراعنةِ الأقدمين !

ثم انصهرت الفكرتان في ثورة التاسعَ عَشَرَ من القرن العشرين .. حيث استغرقت الثورةُ كلَّ طاقاتِ المصريين جميعا !

وكان الشابُّ محمد عبد الله عنان وَشيكَ التخرجِ في مدرسة الحقوق .. وقد آثر أن يتحررَ من قيود العملِ الحكوميّ .. فاتجه إلى العمل في المحاماة .. ولكن قضيةَ الاستقلالِ كانت تَمورُ بلهيبها في نفسه .. ونفوسِ رفاقه من شباب مصر الثائر !

ثم لانتْ قناةُ المستعمِرِ في لهيب الثورة .. وفاءتْ مصرُ إلى ظلِّ دستور يمنحُها حقوقاً على طريق الاستقلال .. وأخذتْ جمهرةٌ من المفكرين المصريين تدعو إلى تأكيد هذا الاستقلال .. بما سبَقَ أن نادَوا به من تأصيل القوميةِ المصرية .. وساعدَ على ذلك سقوطُ الخلافةِ العثمانيةِ على يد أتاتورك !

وكان عنانُ ممن تحَمَّسَ لهذا الاتجاه .. الذى دعا إليه الأستاذ أحمد لطفى السيد ، والدكتور طه حسين ، والدكتور محمد حُسين هَيكل .. فرأى أن يُسهمَ في تأصيل القوميةِ المصرية بالكتابة في تاريخ مصر .. وتَجْلِيَةِ جوانب العظمةِ الكامنة فيها !

ولكنه لم يَمْضِ في تأصيل القوميةِ المصريةِ إلى جذورها الفرعونية .. كما فعل بعض الدعاةِ إلى هذا الاتجاه .. فقد آثَرَ أن تكون مصرُ الإسلاميةُ موضعَ اهتمامه وبحثه .. ومناط اعتزازه وفخرِه .. وأخرج للناس كتابية :

« مصرُ الإسلاميةُ « تاريخ الخِططِ المصرية » .

ولم يكتفِ بالكتابة في تاريخ مصر .. فقد كتب كذلك عن مؤرخى مصر .. كابنِ عبد الحكَم ، والكِنْديّ ، وابن زُولاق .. وتابَع مؤرخيها حتى الجبرتيّ .. وذلك في كتابه : « مؤرخُو مصرَ الإسلامية « مصادرُ التاريخ المصريّ » .

وفى إطار الكتابةِ عن التاريخ المصريّ ألَّف كتابه : « تاريخ الجامع الأزهر » .. وكان أولَ من دعا إلى الاحتفال بعيده الألفيّ .. عامَ اثنين وأربعين وتسعمئة وألف .. ولكن ظروفَ الحربِ العالمية - حينذاك - حالت دون الاستجابةِ لذلك ..

فظلَّ يُتابعُ دعوتَه بإصرارِه المعهود .. حتى أُقيمَ الاحتفالُ بالعيد الألفيِّ للقاهرة وأزهرِها بعد ذلك .. عامَ تسعٍ وستين وتسعمئةٍ وألف !

لم يتوقفْ قلمُ عنانٍ عند الكتابةِ فى تاريخ مصرَ الإسلامية .. فقد اتجه إلى ميدان التَّراجِم .. وكان أولَ مَنْ تَرْجَمَ له ابنُ خَلْدُون .. أستاذُه الأثيرُ فى فنِّ كتابةِ التاريخ .. وكان قد سبق له لقاءُ أستاذِه .. حين عَهِدَ إليه صديقُه الدكتور طه حسين بترجمة رسالتِه للدكتوراه عن ابن خَلْدُون .. من الفرنسية إلى العربية .. ثم تتابعت تراجِمُه الإسلامية .. التى جمعها بعد ذلك فى كتابه : « تراجمُ إسلامية .. شرقية وأندلسية » .

وكان عنانٌ يُتْقِنُ الإنجليزية والفرنسية والألمانية .. وكان يقرأ ما يصدرُ بها من صحف تُعالج قضايا السياسةِ الدولية .. التى تَشْغَلُ بالَ رجالِ السياسةِ والفكرِ فى العشرينياتِ والثلاثينيات .. فمضى عنانٌ يخوضُ هذا الميدان .. يتناولُ أُمورَ السياسةِ الدوليةِ .. بالدراسةِ والتقييم .. وقد يأخذُ فى التنبيه إلى مايَكْمُنُ فيها من مخاطرَ على السلام الدوليِّ !

وكان يُؤثر بمقالاته صحيفةَ " السياسةِ الأسبوعية " .. ثم مجلتى : الرسالةِ والهلال .

وعنانٌ فى كل مايكتبُ يُقْبِلُ على موضوعاته بعقل رجلِ القانون .. المحققِ المدقق .. حيث يَسْتَوْفِى حقائقَه ووثائقَه .. ثم يأخذُ فى بحثها مُحَلِّلاً مُعَلِّلا .. واصلاً من ذلك كلِّه إلى حكم يراه عدلاً وحقًّا !

ولعلَّ نُزوعَه إلى ذلك هو ما جعله يتجهُ إلى دراسة شخصيةٍ تاريخيةٍ مصرية .. حارَ فيها مُعاصِرُوها ومَنْ بعدَهم .. واسْتَغْلَق أمرُها .. حتى صارتْ فى غموضها أشبهَ بالطلاسم .. وفى غرابتها أشبهَ بالأساطير .. ولكن عناناً المُتحفِّزَ المُتوفزَ .. دائماً لكلِّ عَصِىٍّ من أُمور التاريخِ وأبطاله .. اجتذبتْه هذه الشخصيةُ الفريدةُ الغريبة .. شخصيةُ الحاكمِ بأمر الله .. فأقبَلَ عليها يكشفُ سِتْرَها .. ويُبينُ سِرَّها .. فى كتابه : « الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية » .

وتجتذبُ عناناً كذلك قضايا التاريخ والمحاكماتُ الكبرى .. فيمضى فى تَتَبُّعها على نهجه المعهود .. ويختارُ منها ماله تأثيرٌ مصيرىٌّ فى حياة الأمم والمجتمعات .. فكان كتابُه : « قضايا التاريخ الكبرى » .. الذى ظهر بعد ذلك بصورة أوفَى .. بعنوان : « ديوان التحقيق والمحاكمات الكبرى فى التاريخ » .

ومع « ديوان التحقيق » - أو ما عُرِفَ باسم « محاكم التفتيش » - يَجْزَعُ عنانٌ لِمَا نَزَلَ بالعرب الباقين فى إسبانيا - بعد انهيار دولتهم فى الأندلس - ومحاولة ديوان التحقيق تنصيرَهم .. ثم إخراجَهم من إسبانيا بعد استشهادٍ واستعباد .. ويبدو أن هذه القضية الدامية الفاجعة قد جعلتْ عناناً يتوقَّفُ عندها طويلا .. يُمْعِنُ فى النظر إلى أسبابها وعواملها .. ثم يمتدُّ ببصره إلى أبعدَ من ذلك .. يستشرفُ غروبَ الأندلس .. ثم يُمْعِنُ فى النظر أكثر فأكثر .. حيث تترامَى أمامه الآفاق .. ويرى على ساحة الأندلس دولةَ الإسلام فَتيَّةً زاهرة .. بحضارتها وعزَّتها وهيبتها .. ثم يراها وهى تتمزَّقُ بأيدى أبنائها قبلَ أعدائها .. حتى تصيرَ إلى زوال .. بعد أكثرَ من ثمانية قرون ! يَهُولُه ذلك كلُّه .. فيُرهفُ قلمَه وعزْمَه .. ويمضى إلى مسرح الأحداث مراتٍ ومرات .. حتى يُخرجَ للناس سبعةَ مجلداتٍ كبيرة .. فى تاريخ الأندلس !

وكأنه يقول للعرب والمسلمين :

هذه أندلُسُكم .. فردوسُكم المفقود .. خُذُوا منه العبرة .. ولا تأخذْكُم العَبرة .. اعتبروا .. وانتبهوا .. حتى لا تضيعَ فراديسُ أخرى من بلاد العروبة والإسلام(*) !

أيها السادة :

أولئك أسلافى الذين قُدِّرَ لِى أن أشْغَلَ كرسيَّهم .. وكلُّهم ماجدٌ كريم .. حَسيبٌ نَسيبٌ فى علمه وفضله .. وخلافتُهم أمانةٌ يَنُوءُ بى حملُها .. وأخشى أن أكونَ بها ظَلُوماً جَهُولا .. ولكنى أحمدُ الله تعالى .. فقد جَعَلَنى على شريعةٍ من أمرِ العملِ بالمجمع .. سنواتٍ طال مداها حتى شارفت الثلاثين .. ومازلتُ - بحمد الله - على جادَّة الشريعة المجمعية .. أَسُوسُ جهازَها العلمىَّ والإدارىَّ ماوَسِعَنى جَهْدى .. ليعملَ بكل طاقاته فى لجان المجمع ومجلسه ومؤتمره .. حيث تَدُورُ كلُّها فى فَلَك العربية .. مصطلحاتٍ لكلِ مايَجِدُّ من علومِ عصرنا وفنونه .. وقراراتٍ فى شئون لغتنا تيسيراً وتصويبا .. ومرادٌ معجمية لا تُغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً من قديمٍ وجديدٍ إلاَّ أحصَتْها .. ثم تُقَدِّمُ للناسِ معجماتٍ دانيةً قُطُوفُها ، لكلِّ مستوىً ثقافىً .. مختلفةً صُنُوفُها ، فى كل مجالٍ علمىٍّ وفنىٍّ !

واللهَ أسألُ أن أكونَ جديراً بالانضمام إلى كوكبةِ الأعضاءِ العاملين فى مجمع الخالدين !

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

إبراهيم الترزى
عضو المجمع

(*) قيل هذا قبل مأساة البوسنة والهرسك بعامين
(التحرير)

كلمة الأستاذ الدكتور أمين على السيد عضو المجمع

فى استقبال عضو المجمع الجديد الأستاذ الدكتور

عبد الرحمن السيد

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الرئيس
السادة الأعضاء
السيدات والسادة الحضور

السلام عليكم ورحمة الله بركاته وبعد فإن الحمد لله ذى الفضل العظيم ، وإنه لمن يمن الطالع أن يكون هذا الاستقبال فى شهر رمضان المعظم ، وأن أحظى بشرف النيابة عن المجمع فى استقبال أخ لى لم تلده أمى . عرفنى وعرفته فى عام اثنين وأربعين وتسعمئة وألف ميلادية ، يوم أن وطئت أقدامنا أرض دار العلوم طلابا ، وبعد عام واحد من اللقاء عشنا معا تحت سقف واحد بضاحية المعادى زهاء عشر سنين ، ولم تتفرق بنا السبل كثيرا بعد التخرج، فقد جمعنا العمل فى عدة أماكن ، حتى ألقينا عصا التسيار ، واستقر بنا المقام فى رحاب دار العلوم ، التى منحتنا أكثر مما منحناها ، وزودتنا بما رفع شأننا وأعلى قدرنا .

وإنه لمما يشرفنى ويسعدنى أنه أقدم لكم الأستاذ الدكتور عبد الرحمن محمد السيد ، عضوا دءوبا لايكل ولايمل ، ولا يخشى فى الحق لومة لائم ، وكأنه الذى عناه الشاعر بقوله :

نزور امرأ أما الإله فيتقى
وأما بفعل الصالحين فيأتمى

لقد ولد فى الحادى عشر من شهر أكتوبر سنة ١٩١٨ م ، ثم ألحق بمدرسة القرية ، وانتقل منها إلى المدرسة الابتدائية بمدينة دكرنس ، واستمر بها حتى السنة الثالثة ، فرأى والده وعمه الذى كان أحد علماء الأزهر أن يحفظ القرآن الكريم ويلتحق بالأزهر الشريف ، ومن الغريب أن الصبى قابل هذه الرغبة برضا وقبول ، لأن عمه كان يحظى بمكانة وتقدير لم ينلهما غيره من أقاربه الذين ألحقوا بالأزهر معه ، ولكنهم لم يكملوا تعليمهم ، ولا الذين أكملوا تعليمهم فى المعاهد العليا المختلفة ، لما كان مستقرا فى نفوس الناس وقلوبهم آنذاك من أن علماء الأزهر هم المقبولون الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه .

حفظ القرآن الكريم فى وقت قصير ، والتحق بالأزهر ، وحصل على الشهادة الثانوية منه ، وكان ترتيبه الثانى على دفعته ، ثم تقدم إلى دار العلوم ، فكان من الطلاب الستين الذين قبلوا وكان ترتيبه الأول فى الانتقال إلى السنة الثانية ، والثانى فى الانتقال إلى السنة الثالثة ، والأول مكررا فى الانتقال إلى السنة الرابعة .

وفى السنة الرابعة قاد مسيرة تاريخية خالدة ، فقد رأى الطلاب - وهو على رأسهم - أن بقاء دار العلوم معهدا عاليا لا يحقق لهم ما تحققه كليات الجامعات لطلابها من طموح فى الدراسات العليا والحصول على درجات علمية أعلى ، ففكروا فى أن ينضووا

تحت لواء جامعة كبيرة ، تشد أزرهم ، وتفتح أمامهم آفاقا جديدة ، وتحقق لهم الأمل فى متابعة الدراسة ، ليستزيدوا من العلم والمعرفة ، فشغل مع مجموعة من زملائه بالعمل على ضم دار العلوم إلى جامعة القاهرة ، حتى تحقق لهم ما أرادوا ، وصدر القانون رقم ٣٣ لسنة ١٩٤٦ م ، بضم دار العلوم إلى جامعة فؤاد الأول ، وهنا أتذكر قول المتنبى :

ذرينى أنل مالا ينال من العلا
فصعب العلا فى الصعب والسهل فى السهل
تريدين لقيان المعالى رخيصة
ولا بد دون الشهد من إبر النحل

ذاكم لأن الطريق إلى تحقيق هذا الأمل لم يكن سهلا ، فقد شغل صاحبنا ومن معه عن متابعة الدرس والمحاضرة ، وقرروا الاعتصام بدار العلوم ، فزج بهم فى أقسام الشرطة ، وكان سجن قره ميدان خاتمة المطاف ، ولم يصطحب أحد من هؤلاء مذكرة ولا كتابا ، وكان الامتحان النهائى على الأبواب فلجأنا إلى كبار الأساتذة أن يرجئوا الامتحان حينا ، لكى نستعد له ، ولكن الأمر كان قد أبرم ، وحدد الموعد المعتاد فى كل عام دون تأجيل ، على الرغم من أن أساتذتنا قد شاركونا فى سعينا وزارونا فى معتقلنا ، وقدموا لنا صادق الود من وراء القضبان .

وقد كان لذلك أثره على صاحبنا ، فكان ترتيبه الخامس بين الحاصلين على درجة الليسانس ، ثم التحق بمعهد التربية العالى للمعلمين وحصل على دبلومه .

عين بعد ذلك مدرسا بالتعليم العام ، واستطاع خلال عمله أن يعد رسالة الماجستير ونال درجتها ، وعين بعد ذلك مدرسا بمدرسة الألسن العليا ، ثم أعد رسالة الدكتوراه ونال درجتها فى فبراير ١٩٦٢ م ، وعين بعدها مدرسا بكلية دار العلوم فى فبراير ١٩٦٣ م .

وفى عام ١٩٦٩ م عين أستاذا مساعدا بالكلية ، وفى عام ١٩٧٤م عين أستاذا بها وكان له نشاطه بالكلية ، فقد اشترك فى لجان عدة ، وأشرف على كثير من الرسائل ، وشارك فى مناقشاتها وفى تطوير المناهج وتيسيرها وتنقيتها مما يشوبها من صعوبة أو تعقيد .

وقد أمضى عامين بالجامعة الأردنية من ٦٥ - ١٩٦٧ ، كما أمضى عاما آخر بجامعة البصرة هو عام ١٩٦٨/٦٧ الجامعى . وفى سبتمبر سنة ١٩٧١ م أعير إلى كلية الآداب جامعة الملك عبد العزيز بجُدّة ، وظل بها إلى فبراير ١٩٧٧ م .

وفى هذه الجامعات شارك فى كل الأنشطة العلمية والثقافية ، ورأس قسم اللغة العربية فى بعضها ، كشأنه فى جامعة الأزهر وغيرها من جامعتنا .

وفى ١٩٧٧سنة م عين وكيلا للكلية لمدة ثلاث

سنين ، وفى سنة ١٩٨٢ م عين رئيسا لقسم النحو والصرف والعروض بالكلية ، ثم عين أستاذا متفرغا بها فى سنة ١٩٨٤ م .

وقد اختير عضوا باللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة والأساتذة المساعدين فى ١٩٧٨ م ، وظل يعمل فيها حتى سنة ١٩٨٩ م ، وكذلك اختير عضوا باللجنة العلمية بقسم اللغويات بجامعة الأزهر .

وقد اتسمت حياته كلها بالحرص على أداء الواجب ، والالتزام بمكارم الأخلاق ، والدقة فى الوفاء بالمواعيد ، والنزاهة فى إصدار الأحكام .

مؤلفاته :

أولا : مدرسة البصرة النحوية : نشأتها وتطورها .

كتاب مطبوع يقع فى اثنين وتسعين صفحة وستمئة من القطع المتوسط ، وقد عرض فيه لنشأة النحو العربى وأصالته ، والأسباب التى دعت إليه ، والعلماء الذين وضعوا أسسه ، والعلماء الذين تابعوهم ، حتى اكتمل علما ناضجا واضح المعالم . وذكر المصادر التى استمد منها هؤلاء العلماء قواعدهم ، والأصول العامة التى حكمت هذه القواعد وما وقع فيها من تناقض وخروج على هذه الأصول . وتحدث عن الخلاف بين علماء البصرة وعلماء الكوفة ، وبيّن أهمية هذا الخلاف ، والأسباب التى أنتجته ، وبوّب مسائل الخلاف ووضعها تحت عناوين ، كل عنوان يجمع عددا منها .

ثم أوضح ما يتميز به نحو البصرة من عموم ومرونة . وتحدث عن علل النحو ومالها من قيمة ، وبين ما فى بعضها من ضعف . وتناول العامل النحوى وبين موقف العلماء منه ، وناقش الآراء التى رأت التخلص منه .

وتحدث عن الإعراب وعلاماته ، وموقف المحدثين من هذه العلامات ، وفند كل الحجج التى اعتمدوا عليها ، وأقام الدليل على بطلان الآراء التى اتجهوا إليها .

وعرض للمصطلحات النحوية ، فبين نشأتها ونطورها ، وذكر طائفة كبيرة منها عند كل من البصريين والكوفيين . وفصّل الحديث عن طبقات البصريين ، وعرّف بأبرز علمائهم ، وقدم دراسة جيدة لعدد من أمهات الكتب التى ألفوها .

وقد زكّى هذا الكتاب عالمان جليلان من أعضاء المجمع : أولهما الأستاذ على النجدى ناصف زكاه بقوله : لقد رجع إلى طائفة كبيرة من المراجع المطبوعة والمخطوطة باحثا منقبا ، يجمع مادة البحث ، ويلائم بين مسائلها ، ثم يعرضها عرضا منطقيا ، فى عبارة طليّة واضحة وهو فى أثناء ذلك يقدم المقدمات ، ويستنتج منها

النتائج ، ويناقش المسائل ويحللها ، وينقد بعض الآراء ويفندها ، ليفسح بينها مكانا للرأى الذى يراه ، محتجا له ، معدّدا الأسباب التى أفضت به إليه ، فناقش جمعا من الباحثين السابقين والمعاصرين المستشرقين وغير المستشرقين .

وثانيهما الأستاذ عباس حسن ، زكاه فقال : عرض لبعض الآراء القديمة التى اقتضاها البحث فأبدى فيها رأيا خاصا مستقلا ، أظهر فيه تخطئة من سبقوه ، وتدارك ما فاتهما ، مسترشدا فى كل ذلك بالحجة القوية والدليل الساطع ، كما عرض لكثير من الآراء المستحدثة التى برزت فى عصرنا ، وكرّ عليها كر الشجاع الخبير ، المدجج بالمنطق الأقوى والبرهان العلمى الناصع .

ثانيا : نحو ابن مالك بين البصرة والكوفة

بدأ بمقدمة موجزة وافية عن حالة النحو فى الأندلس ، منذ الفتح العربى ، حتى انتهى إلى عصر ابن مالك فى القرن السابع الهجرى ، وذكر أشهر رجال النحو فى هذه الفترة ، وثورة ابن مضاء على نحو المشرق ، وإخفاق هذه الثورة فى عصره والمحاولة التى بذلت فى العصر الحاضر لإحيائها . وقد بين أسس هذه الثورة ، وقبل الصالح منها وفند ما عداه .

ثم تحدث عن حياة ابن مالك وأساتذته وتلاميذه ومؤلفاته ، وعن حملة أبى حيان الأندلسى عليه ، فأثبت خطأه فى بعض ما أخذه على ابن مالك وتحامله عليه فى كثير مما رماه به .

ثم تناول أدلة ابن مالك ، وبين أنه كان أول من أكثر من الاستشهاد بالحديث الشريف ، وأثبت أن ابن مالك إذا كان قد وفق فى الاستدلال بالحديث فقد جانبه التوفيق فى بعض ما ذكره منه مما لم تثبت صحته ، أو لم يكن بالرواية التى استدل بها ، وأثبت أنه لم يكن بصريا ولا كوفيا ، ولكنه كان يختار - فى فهم وإدراك - ما يتفق مع أساليب العرب ، سواء وافق إحدى المدرستين أو خالفهما معا .

وذكر الأصول التى قال بها ابن مالك ، وناقشه فى بعضها ، مبينا وجه الرأى فيها وتعارضها .

وأثبت أن ابن مالك يرى أن الوظيفة الحقيقية للكلام هى الفهم والإفهام ، فإذا أدى الكلام وظيفته فهو سائغ مقبول ، وإذا لم يؤدها كان جديرا بالطرح وعدم الاعتبار .

كذلك يرى أن من مظاهر تيسير النحو تركَ ما لا يدخل فى صميمه من الأبحاث مما هو أساسىّ فى فروع أخرى .

ثم عرض بعد أن وفّاه حقه - لما حفظه التاريخ من مؤلفات ابن مالك ، معرّفا بكل منها ، ذاكرا نماذج تعطى فكرة واضحة عنها .

ثالثا : الكفاية فى النحو

كتاب يقع فى ثلاثة أجزاء ، تناول فيها

أبواب النحو ، وفقا لترتيبها فى ألفية ابن مالك ، وقد حرص فيه على تيسير النحو وتقريبه للدارس المتخصص وغيره من الراغبين ، فى دراسة العلوم العربية ، متوخيا حسن العرض وقرب المأخذ والبعد عن الخلافات العقيمة ، ولم يذكر من الخلاف إلا مالا غنى عنه مما قد يكون له أثر فى قبول أسلوب أو توضيح قاعدة ، أو يكون معينا على قبول نهج فى تخريج بعض الأساليب العربية التى أثبتت صحتها عدالة الرواة وصحة السند ، كما كان حريصا على أن يتضمن الكتاب ما يفيد الدارس ويزيل الشُّبه التى قد تعرض له ، أو يجيب عما قد يرد على ذهنه من أسئلة . كما عنى باختيار الشواهد التى استدل بها النحاة ، متوخيا فيها قرب التناول وسهولة الفهم ، كما أكثر من الاستدلال بالقرآن الكريم والقراءات وبالأحاديث النبوية الشريفة ، وقد خرّج الشواهد ، وعلق عليها بما يفى بحاجة الدارس .

وكان فى أثناء عرضه يناقش ويرجح ويختار ويدلى بالرأى ، ولم يحرم قارىء كتابه من أن يستمتع بأبيات الألفية ، يضعها إزاء القواعد التى تتصل بها ، فتأتى بيانا موجزا لما ذكر مفصلا فى هذا الكتاب .

رابعا : العروض والقافية : دراسة ونقد

بدأ بإعطاء فكرة عن العروض والقافية وعن موسيقى الشعر وعن واضع العروض وعن أثر دراسة العروض وكيفية وزن الشعر وتفعيلاته وأجزائه وأجزاء البيت وبحور الشعر ، وحاول أن يخفف من عبء دراسة العروض والقافية فلم يذكر المصطلح إلا عندما يعرض فى البحر . وقد أحصى بحور الشعر فى كتاب الأمالى لأبى على القالى ، فوصل إلى أنه لم يرد فيه شىء على وزن المضارع أو المقتضب أو المتدارك . وأن المجتث ورد على وزنه ثمانية أبيات بنسبة واحد فى الألف من مجموع الأبيات ، وجاء على وزن المديد عشرون بيتا ، وعلى وزن الهزج ثلاثون بيتا وهى تساوى نصفا فى المائة .

ورأى أنه يمكن ضم الأبحر المتشابهة واختصار عدد بحور الشعر إلى تسعة بدلا من ستة عشر بحرا ، كما رأى أنه ليس من الضرورى التمسك بعدد التفاعيل المأثور عن العرب بشرط أن توجد مقومات الشعر التى يقبلها الذوق .

خامسا : شرح التسهيل لابن مالك : تحقيق ودراسة

تحدث المحقق عن أثر ابن مالك فى دراسة النحو ومكانته بين العلماء وما تركه من تراث ضخم ، وبيّن أهمية كتابه هذا ، إذ يعد خاتمة مؤلفاته وأعظمها قيمة ، وأحقها بأن يبذل الجهد فيه من أجل تحقيقه ونشره .

وبعد هذا عرض للنهج الذى سار عليه ابن مالك فى هذا الكتاب والأسس التى أقام عليها شرحه . وأشار إلى ما امتاز به ابن مالك من قوة

الحجة ، وحضور الذهن ، وسعة العلم ، وحسن الاختيار ، ثم انتقده فى بعض الآراء .

وقد وثق المخطوطة بذكر طائفة من أقوال العلماء الذين أشاروا إلى شرح التسهيل لابن مالك وموازنة ما قالوه بما جاء فى الشرح المنسوب إليه ، ولا شك فى أن تعدد النقول لعلماء مختلفين فى عصور مختلفة من أقوى الأدلة على إثبات المخطوطات وصحة نسبتها إلى أصحابها .

سادسا : مؤلفات أخرى منها :

أ - بعض مقررات برنامج تأهيل معلمى المرحلة الابتدائية للمستوى الجامعى .

ب - كتب مقررة فى اللغة العربية والدين فى التعليم العام .

حـ - مقالات وأبحاث علمية منشورة فى عدد من المجلات .

ولعل مسك الختام أن أنوه بالصلة الوثيقة التى ربطت أخانا بالمجمع منذ اختار طريق التخصص ، فقد كان يتابع قرارات المجمع فى كل ما يتصل بدراسته ، وكان مما درسه قضية الاستشهاد بالحديث النبوى الشريف ، فقد زكّى رأى المجمع ورأى أنه يجب أن يزيد فيما يحتج به :

١ - الأحاديث التى رواها من العرب من يوثق بفصاحتهم وإن اختلفت ألفاظها ، فالثقة بهم تبيح الأخذ عنهم سواء أكان ذلك من إنشائهم ، أم كان منسوبا إلى النبى عليه السلام .

٢ - الأحاديث التى يُطْمَأن فيها إلى عدالة رواتها .

السيد الرئيس السادة الأعضاء :

إنى إذ أقدم لكم الأستاذ الدكتور عبد الرحمن محمد السيد أقدم لكم علما من الأعلام الذين عرفتهم الجامعات فى الوطن العربى ، ووثقت بهم ، واعتمدت على حسن تقديرهم ، ومنحتهم الرضا والقبول ، وأخذت بآرائهم العلمية فيما تعرض من أمور .

إننا نستقبله فى رحاب مجمع اللغة العربية فخورين بزمالته ، مزهوين بصحبته ، مهنئين له بالعضوية ، ومهنئين العضوية به ، سائلين الله جلت قدرته أن يكتب له التوفيق والسداد وأن يهيىء له من أمره رشدا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

دكتور أمين على السيد

عضو المجمع

كلمة الأستاذ الدكتور عبد الرحمن السيد

عضو المجمع الجديد

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الرئيس
السادة الأعضاء
الأخ الكريم

إنه لشرف عظيم لى أن يقع اختياركم علىّ، لأكون عضوا عاملا معكم فى هذا المجمع الموقر، الذى يحظى بما هو أهل له من تقدير واحترام .

فشكرا لكم على ما أوليتمونى من شرف ، وشكرا للأخ الكريم ، على ما غمرنى به من مشاعر الود وجميل اليقين . وأرجو أن أكون عند حسن ظنكم ، وأن يعيننى الله على أن أضيف لبنة صغيرة إلى صرحكم الشامخ الرفيع .

كما أنه شرف عظيم أن أقف بينكم ، لأتحدث عن رجل كان ملء السمع والبصر ، احتل ارفع المناصب ، و شغل أرقى الدرجات ، فقد كان رئيسا لعدد كبير من الهيئات ، وعضوا فى أكثر من عشر جماعات ، فوق أنه كان وزيرا من خير من شهدتهم وزاره الأوقاف ، وداعية من أكبر الدعاة ، وثائرا من أنبل الثوار ، ومجددا من أخلص من حملوا راية التجديد .

هذا العالم الثائر الوزير الداعية ، نشأ كما ينشأ غيره من عامة الناس ، فقد هاجر جده الأعلى بأسرته من المغرب الأقصى الى مصر ، ونزل بقرية صغيرة من قرى مديرية أسيوط ، هى قريه باقور ، التى نسب إليها وعرفت به ، وكانت تشبه غيرها من القرى المصرية الصغيرة ، فى أحوالها الاجتماعية ، وشئونها الاقتصادية ، وفى هذه القرية حفظ القرآن الكريم ، وتعلم القراءة والكتابة ، ثم التحق بمعهد أسيوط الدينى ، وحصل منه على شهادة إتمام الدراسة الابتدائية والثانوية ، ثم انتقل للدراسة العليا بالأزهر بالقاهرة ، وهناك فى رواق الصعايدة ، كان يحصل كغيره من الطلاب على أربعة أرغفة صباح كل يوم ، كانت كافية لفطوره وغدائه وعشائه ، وكان الفول المدمس – كما يقول – أشهى ما يأكله إنسان فى أحد مطعمين بالأزهر .

ثم أقبل على شيوخ يعتز بهم فى الأزهر ، ليستمتع – كما أنقل عنه – بأعذب ما فى الحياة فى حلقة شيخ وقور ، يشرق نور الإيمان فى وجهه ، إشراقة يستروح فيها الأمن والطمأنينة والسكينة والسلام .

ولكنه مع ذلك لم يكن كغيره من الطلاب ، فقد منحه الله لسانا لافظا ، وقلبا حافظا ، وبديهة حاضرة ، وعارضة قوية ، وقدرة فائقة على الإبانة والتعبير ، وجمع له أدوات الخطيب الناجح ، فى سمته ونبره وقوة تأثيره ، فكان قادرا على أن يلهب الأكف ويشق الحناجر ، ويصل إلى أعماق القلوب . وقد فتح له كل ذلك آفاقا واسعة ، وميادين عديدة ، للإسهام فى النشاط الدينى والاجتماعى والسياسى ، فى كثير من الأحيان .

ومن أجل ذلك كان وهو طالب ، يمثل طلاب الأزهر ، فى المؤتمرات والاجتماعات واللجان المختلفة . ومن أجل ذلك أيضا كانت له القيادة فى ثورة الأزهر العارمة ، التى لم يشهد لها مثيلا من قبل ، والتى زلزلت كرسى شيخه فى ذلك الوقت ، عندما ثار طلاب الأزهر على الأوضاع المتردية ، التى وصل إليها حال الطلاب والخريجين ، ورأوا فى الشيخ المراغى ، الذى عرف بأنه واسع الأفق ، كبير العقل ، قادر على فقه الإسلام على أنه حضارة ، تنظر إلى الدين فى آفاق الدنيا ، بقدر ما تنظر إلى الدنيا فى آفاق الدين ، كما كان يرى ذلك أستاذه الإمام محمد عبده ، والذى عين من قبل رئيسا للأزهر ، فبحث عن علل الضعف وعرف دواءها ، ووضع قانونا للإصلاح ، ولكنه لم يُتمكّن من تنفيذه ، فلم يجد بداً من أن يستقيل .

وقد امتدت الثورة شهورا حتى آتت أكلها ، وعاد المراغى شيخا للأزهر ، وتحقق للأزهريين بعودته كثير من الخير ، وبدأت خطوات الإصلاح تأخذ طريقها . وقد استرعت الخطبة التى ألقاها زعيم الثورة فى حفل تكريم المراغى الأسماع ، واستمالت القلوب ، ولفتت إليه الأنظار ، وتحدثت عنها وسائل الإعلام ، وتنبأ له الكثير بأن يكون له فى مستقبله شأن ، ورجوا أن يكون على يديه خير عظيم .

وقد حقق الأمل ، وسار من نجاح سريع إلى نجاح أسرع ، فعين بعد تخرجه مدرسا بمعهد القاهرة الدينى ، ثم وكيلا لمعهد أسيوط ، فوكيلا لمعهد القاهرة ، فشيخا لمعهد المنيا . ثم اختير بعد ثورة ١٩٥٢ وزيرا للأوقاف ، وهو منصب لم يكن من المألوف أن يشغله أزهرى فى ذلك الوقت ، فأفسح بهذا طريقا لمن جاء بعده ، ووضع تقاليد لم تكن معروفة من قبل ، فهو وزير يرتقى المنابر ، ويخطب فى الجمع ، ويعطى المثل لخطباء المساجد ، فيما يجب أن تكون عليه خطبة الجمعة ، فى تناولها لشئون الحياة ، وحل مشكلاتها ، وفى الدعوة إلى الدين بالحكمة والموعظة الحسنة ، وفى الخروج بهذه الخطب عن النهج التقليدى الذى كان سائدا .

ولقد كان بوصفه ووضعه ، خير سفير لمصر والأزهر فى العالم العربى ، والعالم الإسلامى . فزار أقطارهما من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب ، ومن الشرق إلى الغرب ، وهو فى كل مكان يذهب إليه ، وفى كل بلد يحل فيه ، يدعو للمحبة ، ويؤلف القلوب ، ويعطى الصورة الكريمة لعالم الإسلام المستنير ، ويقابل بالتجلة والاحترام ، والإشادة والتكريم .

وكانت له فى وزارة الأوقاف إصلاحات لايمكن إغفالها ، لعل من أهمها حل الأوقاف الأهلية ، التى ضاق الناس بها ، وبما كان نظارها والمهيمنون عليها يرتكبونه من مخالفات ، وما

كان يعانى منه المستحقون فيها من عنت وحرمان ، فجاء إلغاؤها نعمة لأصحابها ، ووضعا للأمور فى نصابها ، فقد أخذ كل ذى حق حقه ، وطويت بهذا صفحة قاتمة فى تاريخ الإدارة والتنظيم .

وقد امتدت جهوده إلى الأوقاف الخيرية التى لامجال لإلغائها ، إذ رأى أن كثيرا من مصارفها لاتوافق العدل ، ولاتصرف إلى من هم فى حاجة إليها ، فضلا عما كان يرتكب فيها من تلاعب ، لإعطاء من لهم حظوة أو نفوذ ، فاستعان بأهل العلم والفقه فى إعداد بيان يسوغ لمجلس الأوقاف الأعلى ، تحويل غرض الواقف من جهة بر ، إلى جهة بر أولى بالاعتبار ، وأدنى إلى تحقيق رغبة الواقف ، وقد تم له ما أراد بعد أن وافقت على ذلك المحكمة الشرعية .

وعندما وجد فى وزارة الأوقاف أموالا مجمدة لاينتفع بها ، أنشأ عددا من المؤسسات الصناعية ، والشركات الإنتاجية ، التى أصبحت مصدرا للرزق الشريف لكثير من العاملين ، ووسيلة كريمة لاكتساب المال ، وإعاشة المحتاجين ، وأغنى كثيرين عن الطلب والاستجداء . ورأى أنه من الخير ، أن يُقَدّم جزء من هذه الأموال لبعض البنوك لتستثمرها ، ولتعود فائدتها إلى الوزارة ، لتستغلها فى مشروعاتها المختلفة ، وبهذا أفتى فى وقت مبكر ، بأن فوائد البنوك حلال ، فى وقت كانت العقول مغلقة دون قبول ذلك ، ومن العجيب أن يظل الجدل قائما حول هذا الموضوع ، على الرغم من الفتاوى الواضحة ، والأدلة القاطعة ، على أن هذه الفوائد ليست من الربا المحرم ، وأن الأسباب التى من أجلها كان الربا محرما ، ليس منها سبب يسوغ تحريم هذه الأموال ، ولعل الأدعى إلى العجب ، أن يطالب بعض الناس بتغيير اسم هذا المال المكتسب من الفائدة أو الربح ، إلى اسم آخر يجعله حلالا ، وكأن العبرة ليست بالجوهر والمعنى وإنما بالشكل والمظهر ، ومعاذ الله أن يكون ديننا دين ظواهر وشكليات ، دون نظر إلى الدوافع والأهداف .

لقد برهن الأستاذ الباقورى على أنه كان سابقا لعصره ، متقدما أقرانه ، سالكا مسلك الصفوة من أساتذته ، الذين أكدوا للعقل حرمته ، بمقدار ماله من حرية فى البحث والاستقراء ، وأن الاجتهاد غاية شريفة ، يسعى للظفر بها كل مشتغل بالعلم ، متفرغ له ، والذين رأوا أن العلماء فى العصر الأخير ، استسلموا للراحة ، ظانين أن أبواب الاجتهاد قد أغلقت دونهم ، فآثروا التقليد ورضوا به ، وعكفوا على كتب ماتت فيها روح العلم ، ثم ابتعدوا عن الناس ، فجهلوا الحياة بمقدار ما جهلتهم الحياة ، وأن الناس قد نظروا إلى القرآن الكريم على أنه تمائم وتعاويذ ، تحفظ من

الجن ، وتصون من الحسد ، فاستبدلوا بالتأدب بأدب القرآن ، والوقوف مع أحكامه وشرائعه ، صورا هى إلى التقاليد الوثنية ، أقرب منها إلى شرائع الإسلام . فهو يرى أن العالم المتخصص ، المقبل على الدراسة ، الملم بما قاله القدامى ، وبالأسباب والعلل التى بنوا عليها أحكامهم ينظر فيما استجد فى عصره من قضايا ومشكلات ، وأن ينظر فى أسبابها وعللها ، وأن يصدر فيها أحكاما تتفق مع أهداف الشريعة وأغراضها ، فيحل منها ما يرى فيه مصلحة عامتهم وسوادهم ، ولا ينال بالضرر أحدا منهم ، ويحرم ما فيه غبن وظلم لبعضهم ، وبهذا يسعد الناس ، وتستقر أمورهم ، ويقبلون على حياتهم راضين مطمئنين .

وعندما عين مديرا لجامعة الأزهر ، كان قد أنشىء بها ، فوق كلياتها الأصلية ، كليتان جديدتان ، هما كليه المعاملات الإسلامية وكلية البنات ، ولكنه رأى أن يكون تطوير الجامعة أوسع أفقا ، وأعم فائدة ، فأنشأ كلية للطب ، وكلية للزراعة ، وكلية للهندسة ، وكلية للدراسات العربية والإسلامية ، على أن يكون مقر الأخيرة الجامع الأزهر نفسه ، وأن يكون نظام الدراسة فيها ، وفقا للنظام التقليدى للأزهر القديم ، وأن تكون المحاضرات فيها موزعة على ساعات الليل والنهار ، وأن تكون أبوابها مفتوحة لكل الراغبين فى هذه الدراسات ، بعد أن كانت الدراسة فيه قد عطلت ، فاختفت حلقات الدروس ، وخلت الأروقة من ساكنيها ، ومن حفظة القرآن الذين كانوا يرتلون فيها ، فأعاد لهذا المبنى العريق المبارك بهاءه ونشاطه ، وجعله كما كان موئلا للعلماء والدارسين ، ومصدرا للإشعاع الدينى والثقافى ، يقصده الوافدون من كل بقاع الأرض ، ليعمروا عقولهم بالعلم ، ويملئوا قلوبهم بالإيمان ، وليتزودوا من نبعه بخير الزاد .

ولعل الذى دفعه إلى ذلك رغبة صادقة فى أن ييسر العلم للراغبين فيه من غير العرب ، فقد وجد أن الدارسين العرب لن يستطيعوا إشباع حاجة الشعوب غير العربية التى تريد معرفة حقيقة الإسلام ، وأسرار التشريع ، وأن من الخير استقدام أعداد من شباب هذه الأمم ، تنشأ لهم مدينة خاصة بهم ، ويعنى فيها بتعليمهم اللغة العربية ، ثم ينتقلون بعد إجادتها إلى حلقات الجامع لأزهر ، ويلحق الممتازون منهم بعد ذلك بالكليات التى يميلون إليها . وبذلك يستطيعون أن يقدموا لشعوبهم ما ينتفعون به ، فى شئون التجارة أو الطب أو القانون ، بعد أن يكونوا قد أفادوا من علوم الدين والشريع .

ولعل من ذلك أيضا ما يكون قد أحسه ، من أن قصر الدراسة بالأزهر على كلياته التقليدية قد جعل أبناءه يعيشون بعيدين أو

مبعدين عن الاندماج فى الحياة كغيرهم من بقية المصريين ، فقد كانت فى مصر بعد تقسيمها إلى طبقة عليا وطبقة دنيا ، طوائف ثلاث ، العسكريون والمدنيون والدينيون ، وكانت هذه الطائفة الثالثة ، أقل الطوائف حظا من كل ما كان مباحا لغيرهم من بقية المصريين، حتى إن أحدهم لو رئى يقود سيارة ، أو يدخل متجرا كبيرا أو يقحم نفسه فى مجتمع من المجتمعات العليا ، لم يسلم من النظر والهمز والتعليق ، بل إنه لم يكن يسلم من ذلك ، وهو سائر فى الشارع ، لايؤذى أحدا ولا يلتفت إلى أحد . فرأى رحمه الله بثاقب نظره ، أن إنشاء هذه الكليات على ما فيها من فائدة لغير المصريين ، وغير الأزهريين ، فيها فائدة كذلك لأبناء الأزهر من المصريين ، إذ سيجعلهم - ولم تعد دراستهم وقفا على فروعها التقليدية - يندمجون فى غيرهم من أبناء الثقافات الأخرى، بل ربما فاقوهم وامتازوا عليهم ، بما حصلوه من بصر فى شئون اللغة والدين ، وهذا مانراه ونلمسه فى هذه الأيام .

وكان رحمه الله يرى أن خير الناس أنفعهم للناس ، وأن فضيلة الإنسان أن يصنع خيرا وللشر عنده غواية ، وله فى نفسه فتنة ، فليس الخير ابتعادا عن الشر ، أو عجزا عنه ، أو مخالفة له وحسب ، بل الخير هو اختيار الحسن مع القدرة على القبيح ، وليست القداسة أن تكون نورا وأنت نور ، ولا الفخار أن تكون نارا وأنت نار ، وإنما القداسة والفخار أن تكون نورا ونارا وأنت تراب ، وأن تسبح وتقدس وأنت قادر على الفساد والعدوان . إن الإنسان إنما فضل غيره من سائر المخلوقات بقدرته على التمييز بين الخير والشر والنافع والضار ، والخبيث والطيب ، والناس يتمايزون بما تهديهم إليه طبائعهم من عمل ما فيه خير لهم ، وصلاح لغيرهم ، ونفع للبشرية ورقى بها ، ومن هنا كان حرصه على أن يشترك فى كل عمل يرجو منه الخير للناس ، أو يدفع به الضرر عنهم ، شارك فى لجنة الطلبة ممثلا طلاب الأزهر ، لأنه رأى فيها إسهاما فى خدمة بلده ، وتحريرا له من الاستعمار ، وتخليصا له من أيدى المحتلين الغاصبين . وشارك فى ثورة الأزهر ، لأنه عانى كما عانى غيره ، مما كان عليه من جمود وضعف وانطواء على النفس ، وانعزال عن المجتمع ، وعجز عن متابعة ركب الحضارة السائر إلى الأمام . وانضم إلى جماعة الإخوان المسلمين ، عندما اقتنع بسلامة مبادئها ، ونبل أغراضها ، والتزامها فى دعوتها بمبادىء الدين وأغراض الشرع الحنيف . واستجاب للثورة عندما دعته لتولى وزارة الأوقاف ، لأنه وجدها فرصة سانحة تمكنه من أن يفعل الكثير ، مما لا يقدر عليه وهو بعيد عن هذا المنصب ، وكان مسلكه فى الوزارة ، وتصريفه لشئونها خير

شاهد على ذلك ، فقد هز الوزارة هزا عنيفا ، أخرجها من سباتها ، وبعث فيها حركة ونشاطا ، بل إنه وهو وزير لها ، امتدت آفاق همته إلى العالم الإسلامى كله من شرقه إلى غربه ، ومن شماله إلى جنوبه .

ولعل هذا اليقين الذى ملأ قلبه ، هو الذى دعاه إلى الاعتذار عن عدم تولى مشيخة الأزهر عندما عرضت عليه ، وكان رأيه أن الأزهريين يحتاجون إلى شيخ كبير ، يكون له عليهم حق المشيخة ، فى جلال السن ، وسعة العلم ، وشرف الأستاذية ، وأنه يشفق أن يحتمل عبئا لا قدرة له على النهوض به ، وبهذا يضرب المثل والقدوة فى التعفف عن احتمال عبء يخشى ألا يقدر عليه ، والبعد عن الوقوف فى طريق بعض من أساتذته ، الذين يكن لهم كل تقدير وإعزاز ، والذين قد يرى بعضهم أنه أحق بهذا المنصب ، لسابقة السن ، وطول الخبرة ، والقدرة على الإفتاء . وقد يكون السبب فى هذا مقاومة النفس ، التى قد يدفعها هذا السير السريع فى سلم الرقى ، إلى شىء مما لا يرضاه لأنفسهم أصحاب القلوب التى تشربت الإيمان ، وعرفت ما قد تدفع إليه النفس ، وما تأمر به ، ولعلنا نجد فى حياته ، وفى اتجاهه فيما خلف من مؤلفات ، ما يساعد على ذلك ويزكيه ، فقد حفظ القرآن وهو صغير ، ثم درسه بعد ذلك وعايشه ، واختار بعض آياته وسوره ليشرحها ، ويذكر ما يراه فى تفسيرها ، وفيما درس واختار ، آيات تجعل من يقرؤها ، يستشعر جلال الله وقدرته ، وضآلة الإنسان وعجزه ، وأن الملك بيد الله ، وهو خالق الموت والحياة ، وأن علمه يصل إلى خفايا النفس ومكنونات الصدور ، فماذا يملك الإنسان لنفسه ، وعلام يعتمد إن لم يعتمد على ربه .

ولقد كانت حياة الأستاذ الباقورى دليلا حيا على ذلك ، فقد عرف ، وذاع اسمه ، وتصدر المجالس ، وشغل كثيرا من المناصب ، ونال من الأوسمة والنياشين ، ما لو وزع على عصبة من البارزين لكفاهم ، ولكنه مع ذلك ، ذاق مرارة السجن ، وألم الاعتقال ، وملل تحديد الإقامة سنوات طوالا ، لم يحرمه من ذلك شىء من سوابقه ، ولم يحل دونه ما عرف به من صفاء فى النفس أو نبل فى الغرض .

ولكن الذى حماه ومنعه من فقد الأمل ، والوقوع فى اليأس ، هو إيمانه بالله ، واستظلاله بالقرآن ، فقد كان يرى أن القرآن - كما يقول الإمام الشاطبى - كلية الشريعة ، وعمدة الملة ، وينبوع الحكمة ، وآية الرسالة ، ونور الأبصار والبصائر ، لا طريق إلى الله سواه ، ولا نجاة إلا به ، « وأنه للمؤمن ناصح لا يغش ، ورائد لا يضل ، وأمين لا يخون ، ويذكر قوله تعالى : واستعينوا بالصبر والصلاة ، وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين » ففيها توجيه نافع ، وإرشاد

حكيم للمؤمنين الخاشعين ، يمهد لهم سبل الخير ، ويأخذ بيدهم إلى ظلال وارفة من الأمن والسكينة ، فليس كالصبر درع نتقى به عوادى الزمن ، وليس كالصلاة مفزع يجد به المهموم ما يجده الوليد فى حضن أمه من الراحة والاطمئنان .

ولم يكن تأثره بالقرآن ، واقفا عند حد الصبر والخشوع ، ولكنه كان واضحا فى ممارسته لكثير من شئون الحياة ، فقد كان يرى أن المؤمن الحق هو الذى يدفع السيئة بالحسنة ، ولا يقابل العنف بعنف مثله ، وأن كل بلاء نزل بساحة الإسلام والمسلمين ، إنما نشأ باستعمال العنف الذى بدأ بمقتل أمير المؤمنين عثمان ، وأن الدعوات المخلصة للإصلاح ، لم يستطع قادتها أن يحققوا الغرض المنشود منها ، لالتجاء بعض المنتمين إليها ، إلى وسائل العنف من القتل أو التدمير ، وهو الأمر الذى يدفع الغاصبين والمتسلطين إلى الوقوف ضد هذه الدعوات ، واستخدام كل الوسائل للقضاء عليها ، وعلى كل من يدعو إليها ، والله سبحانه يقول : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن » ولو تدبر هؤلاء ذلك لأراحوا واستراحوا .

كما كان يؤمن بأن القرآن قد هيأ للأمة العربية الإسلامية سبل النجاح ، ومهّد لها طرق المجادة والسيادة ، ولكنها مع ذلك مسرح أحقاد وأطماع ، تتحكم فيها النزوات والعصبيات ، فلم تعد قادرة على أن تكون مخافة عدو ، ولا هى بالغة أن تكون مأمن صديق . وقد وصل الأمر بحكام بعض البلاد الإسلامية ، نتيجة لمروق بعض المسلمين عما يدعو إليه دينهم ، إلى أن نادوا بإلغاء الدين فى دساتير بلادهم ، ظانين أن ذلك هو الطريق لإصلاح ما فسد من أمورهم ، والسبيل لتحقيق ما وصل إليه غيرهم من تقدم وارتقاء ، وما دروا أن فى ذلك إهمال الفضائل التى تقوى الأواصر بين الناس ، وإغفال الحدودالتى تصون المجتمعات من الانحلال ، وإضعاف الطاقات التى تحتاج إليها الشعوب فى الدفاع عن أرضها ، وفى بناء نهضتها .

والدين – كما يؤخذ من القرآن ، وكما تدل أحاديث الرسول – يسر لا عسر فيه ولا إرهاق ، فالله لايكلف نفسا إلا وسعها ، ولا حرج على بعض ذوى الأعذار ، فى ترك ما يكلف به غيرهم من الأصحاء ، والله يحب أن تؤتى رخصه ، كما يحب أن تؤتى عزائمه ، كما يقول رسوله الكريم ، ولذلك فقد أبيح الفطر للمسافر والمريض ، حتى لا يتحمل أحدهما مشقة فوق ما يطيق ، وعلى كل منهما أن يصوم أياما أخر بدل التى أفطرها ، ولا حرج عليه فى ذلك ، ولذلك كان الشيخ يفطر فى بعض أسفاره أخذا بهذه الرخصة .

وقد كان يعجبه مارآه الإمام محمد عبده فى شأن الصور والآثار والتماثيل ، عندما سئل عن حكم هذه الصور فى الشريعة الإسلامية ، إذا كان القصد منها تصوير هيئات البشر فى حالاتهم النفسية ، أو أوضاعهم الجسمية ، فقال : إن الرسم قدرسم ، والفائدة محققة لانزاع فيها ، ومعنى العبادة وتعظيم التِّمثال أو الصورة قد محى من الأذهان ، ويعقب الأستاذ الباقورى قائلا : وبهذا نرى لونا جديدا من الفكر ، يساير المنطق الصحيح ، ويفتح أمام الإسلام طريقا يكون خير وعاء للحضارة فى عصرنا الحديث .

كما كان له رأى فى الموسيقى والغناء اللذين لم يزالا موضع تساؤل فى عصرنا الحاضر ، فقد أباحهما ، استنادا إلى ما نقل عن عائشة رضى الله عنها ، والجاريتين اللتين كانتا تغنيان عندها ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم حاضر . وإلى ما روى عن رسول الله من قوله : " ليس منا من لم يتغن بالقرآن " فالمسلمون مأمورون بترتيل القرآن ، ولايرون فى ترتيله ما ينافى قداسته ، بل يرون ذلك معينا على قوة تأثيره ، ودافعا للإصغاء إليه . وإلى ماروى عن عمر رضى الله عنه ، مع صرامته وشدته على نفسه وعلى غيره ، فى رعاية أحكام دينه ، من أنه كان يبيح الغناء ويدعو إليه . وإنما ينكر الغناء إذا اشتمل على لهو ينفر القلوب ، ولكن حرمة هذا اللون لاتحرم غيره من ألوان الغناء ، كما يحرم اللباس الخليع دون أن يمتد أثره إلى سائر اللباس ، وكما يحرم الحديث الخليع دون أن يكون ذلك مانعا من سائر الكلام .

وكان يرى أن المراد بالمطَهَّرين فى قوله تعالى :" لايمسه إلا المطهرون " هم المطهرون من الذنوب ، ومن أوضار الأوزار ، كما قال ذلك كثير من أعلام السابقين ، وأنه لابأس بحمل القرآن ومسه ، للمسلم وغير المسلم ، طاهرا كان أو محدثا ، إلا أن بعضهم لم يبح للمشرك حمله .

ولم يكن عجبا أن يجد هذا العالم السمح الجليل ، الذى كان داعية من أنجح الدعاة للإسلام ، ووطنيا من أخلص العاملين لجمع شمل الأمة ووحدة عنصريها ، من يأخذ عليه سماحته فى دينه ، بإتيان بعض الرخص ، ويأخذ عليه إشادته بالوحدة التى تمثلت فى الثورة الوطنية ، والتى كانت مضرب الأمثال ، وموضع الإعجاب. لم يكن عجبا أن تتحول ميزات الرجل وأعماله وخدماته ، إلى مساوىء فى رأى فريق من الجامدين المتزمتين ، المتمسكين بالمظاهر والشكليات ، الرافضين لكل تقدم وانطلاق .

فهكذا كان الأمر مع كثير من المجددين المصلحين ، الذين أنار الله بصائرهم فسبقوا عصرهم ، ورأوا بتوفيق الله وعنايته مالم يره غيرهم ، وحاولوا أن يأخذوا بيد شعوبهم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم ، ولكن الجامدين

المتخلفين وقفوا فى طريقهم ، ورفضوا دعوتهم ، وحال عنادهم بينهم وبين كثير من الخير ، الذى لم يدركوا قيمته إلا بعد أن مضت سنوات ، أفاقوا بعدها من غفلتهم ، وعرفوا فساد رأيهم، وأخذوا يعضون بنان الندم على الفرصة التى ضاعت ، والبارقة التى أفلتت ، وحاولوا استرجاعها ، أو استرجاع شيء منها ، ولكن هيهات . رأينا ذلك فى الماضى ، ونراه فى الحاضر ، وأعتقد أنه سيكون كذلك فى المستقبل ، فهذه سنة الله ، ولن تجد لها تبديلا .

لقد عاش الأستاذ الباقورى حياة عريضة عميقة ، لم يقف فيها عند الحد الذى كان يقف عنده السابقون ، من إلقاء البيانات ، والاكتفاء بالتعبير عن أطيب الأمنيات ، ولكنه كان حركة دائبة ، ونشاطا غير مقطوع ، ينتقل من الشرق إلى الغرب ، ومن الشمال إلى الجنوب ، يصلى فى المسجد ، ويخطب فى الكنيسة ، يزور دولا عربية أو إسلامية ، ودولا مسيحية أو شيوعية ، ليقف بنفسه على حال المسلمين ، وليوثق معهم الروابط والعلاقات ، لم يحل بينه وبين غايته بحار أو محيطات ، ولم تمنعه جبال أو صحراوات ، ولكنه كان يستمد من إيمانه قوة ، ومن نجاحه وتوفيقه حافزا إلى نجاح أكبر ، وتوفيق أعظم .

وإذا كان فى السنوات التى اعتقل فيها أو سجن ، قد منع الحركة والانتقال ، فقد ظل نشاطه العلمى قويا موصولا ، فهو يقرأ ويفسر ويؤلف ، ويسجل خواطره وأفكاره ، وربما كانت هذه السنوات أحفل سنوات عمره بالدراسة والتأليف .

وعندما نزل به المرض ، وأصبحت حركته أبطأ ، وقدرته على المشاركة فى الحياة العامة أضعف ، ظلت إرادته القوية تدفعه إلى أن يمارس من أنواع النشاط ما يستطيع ، فهو يحضر الندوات ، ويشهد الاجتماعات ، ويلقى بعض الدروس المذاعة من المساجد ، لينفع الناس بما وعى صدره ، وما حفظ قلبه . وقد طبعت بعض مؤلفاته بعد أن أختاره الله إلى جواره ، ولعل هذه الكتب قد كتبها أو أملاها فى هذه الفترة الأخيرة من سنوات عمره ، آية قاطعة على عطائه الموصول ، وعلمه النافع المبذول ، وشاهد صدق على أنه كان من العلماء العاملين ، المرجو قبولهم فى درجات الصالحين من جنات النعيم .

ومع هذه الحياة الحافلة التى عاشها ، ومع المناصب الكثيرة التى شغلها ، عاش عف اليد ، عف اللسان ، وخرج من عالمنا دون أن تغريه الدنيا ، أو يشغله متاعها .

رحم الله العالم الجليل ، وجعل سيرته نبراسا يهتدى به العاملون الصابرون ، وهيأ لنا جميعا من أمرنا الرشد والصواب .

والسلام عليكم ورحمة الله .

دكتور عبد الرحمن السيد
عضو المجمع

فى الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الأربعاء ٩ من شوال سنة ١٤٠٨ هـ الموافق ٢٥ من مايو سنة ١٩٨٨ م أقام المجمع حفلا لتوديع عضو المجمع المغفور له الأستاذ عبد السلام محمد هارون الأمين العام للمجمع ...

وفيما يلى نص الكلمات التى ألقيت فى الحفل :

كلمة الأستاذ الدكتور شوقى ضيف عضو المجمع فى تأبين المغفور له
الأستاذ عبد السلام محمد هارون

السيد الأستاذ رئيس المجمع ، الزملاء الأجلاء ، أيها السيدات والسادة :

إنه ليحزنني أن أمثل بين أيدى حضراتكم لأؤبن زميلى وأخى الأستاذ عبد السلام هرون الذى فاجأنى نبأ وفاته ، فسارعت إليه ، وإذا المشيعون من ورائه وهو محمول على أعناق الرجال ذاهب إلى مستقره فى غير صخب ولاجلبة ، وتولانى أسى عميق ، وراجعت نفسى ، إذ هى الدنيا مهما تراخت بنا فيها الآجال لابُدَّ أن تنتهى إلى زوال ، ولابُدَّ فيها من تجرُّع الموت الزؤام ، ولابُدَّ أن نُفْجع فيها بالأتراب والصحاب ، ولا بد أن نروَّع بفراق الأصدقاء والزملاء ، وكم من زميل عزيز فى مجمعنا كان ملء السمع والبصر علما وفضلا فقدناه بالأمس وقبل الأمس ، وأين منا منْ كُنَّا نرمقهم بإعجاب وهم يعرضون أفكارهم وآراءهم بحجج دامغة وأصوات مجلجلة ؟ أين منا إبراهيم أنيس وأحمد عمار ومصطفى مرعى وإبراهيم الدمرداش وأحمد عبد الستار الجوارى والصفوة النابهة من أعلام مجمعنا الراحلين مصريين وغير مصريين ؟

لقد طويت صحف آجالهم بغتة وخلفونا وراءهم نبكيهم بدموع غزار مرددين :

لقد فارق الناس الأحبة قبلنا
وأعيا دواءُ الموت كلَّ طبيب

وإنها لحكمة الله الخالدة أن لاينجع فى الموت دواء ، وأن لاعاصم لأحد من الفناء ، فإذا من بقى يوشك أن ينطفىء مصباحه ، فالموت دائما على الأبواب يُصَلْصل ، ودائما ننتقل من لوعة إلى لوعة ، وعبثا تخفِّف الدموع مايستكنّ فى حنايا الأضلاع من الأوجاع إزاء غوائل الموت وفواجعه ، وليس من واق ولا فاد لكأنما الأحياء جميعا أبناء الموت وهو يعيرهم للحياة ويستردهم منها ، يستردّ عواريَه وودائعه جماعات ووحدانا ، ولا يستطيعون أن يعصوا له أمرا ، إنهم أبناء بررة لا يعرفون العصيان له ولا العقوق أبدا ، بل إنه القضاء الذى لامردَّ له ولا مفر منه ، فالجميع ميتون ، والجميع من حياض الموت ناهلون ، والجميع راحلون الرحلة الأبدية ، اللاحق فيها مثل السابق ، والمتأخر مثل المتقدم ، ولا نملك إلا الاستسلام واحْتساء الصبر وكثرة الاسترجاع تسليما لله مصرِّف الأقدار فيما قضى ، ابتغاء الزلفة عنده والرضا .

ولقد خلّف الزميل الأستاذ عبد السلام هرون بوفاته مكانا علميا فى المجمع سيظل شاغرا بعده لخلقه السَّوِىّ وعلمه اللغوى ، أما خلقه فكان دائما بشوشا طلق الوجه رضىَّ النفس ودودا لإخوانه ، وأما علمه باللغة فقد كان منهلا لاينضُب معينه ، إذ أنفق فيها حياته ، وعاش لها ، وعاش بها ، معيشة من يفرغ لنسكه ، وكأنما تحولت العربية - أمامه - منسكا نذر على نفسه أن يظل - طوال عمره - يقدم لها

المذور بجهود علمية متصلة .

وقد ولد الفقيد بالإسكندرية فى ١٨ من يناير سنة ١٩٠٩ ودرج ونشأ فى بيت كريم من بيوتات العلم فى الأزهر الشريف ، كان جده الشيخ هرون بن عبد الرازق عضوا فى جماعة كبار العلماء بالأزهر ، وكان أبوه الشيخ محمد عالما جليلا ، تولى وكالة مشيخة العلماء بالمعهد الدينى فى الإسكندرية ، وبها أنجب ابنه عبد السلام ، ونُقل إلى المعهد الدينى بطنطا فى نفس المنْصب ، وسرعان ما أصبح رئيسا للتفتيش الشرعى بوزارة الحقانية (وزارة العدل الآن) وعينة لا تغفُل عن تربية ابنه ، آملا أن يصبح مثل آبائه ، شيخا من شيوخ الأزهر المرموقين ، وأخذه بحفظ القرآن الكريم وأتم حفظه فى العاشرة من عمره ، ودخل الأزهر فى سنة ١٩٢١ ومكث به ثلاث سنوات ، وجذبته إليها دار العلوم العليا ، فالتحق بها سنة ١٩٢٤ ونهل من دروس أساتذته ما استطلاع مما صقل به فكره ولسانه ، وأقبل على قراءة الكتب فى نهم شديد ، ونظر فى المخطوطات ، وطمح إلى أن يخرج كتابا إخراجا علميا ، وهو لايزال فى مدارج الشباب وطلب العلم ، وعكف على خزانة الأدب لعبد القادر البغدادى يحققها ويحاول إخراجها ، وأخرج الجزء الأول منها سنة ١٩٢٧ وهو بالسنة الثالثة بالدار ، وكان ذلك إرهاصا بأنه سيهب حياته لتحقيق نفائس التراث ، وتخرج فى السنة التالية فعُيِّن - مثل رفاقه - فى التعليم الابتدائى ، وظل مشغوفا بالتحقيق فهو أمنيته ومبتغاه فى دنياه ، وفكر فى كنز من كنوز التراث يعيد إليه الحياة ويمكن الباحثين من الانتفاع به ، وهداه تفكيره إلى تحقيق كتاب الحيوان للجاحظ أكبر أدباء العربية فى العصر العباسى . وكان اختيارا موفقا غاية التوفيق لما كانت تمتلىء به أجزاء الكتاب من تصحيفات وتحريفات لاتحصى ولما حشد الجاحظ فيه من أشعار تمتلىء بالألفاظ الغريبة ، وظل سنوات عاكفا على هذا العمل المجهد يصحح الخطأ ويداوى السقم ويشرح اللفظ الغريب حتى استقام له الكتاب ، وما توافى سنة ١٩٣٨ حتى يهدى الجزء الأول منه إلى العلماء والباحثين وتتوالى أجزاؤه السبعة ، وكلما أخرج منه جزءاً ازداد إعجابهم به لما بذل فيه من جَهْد علمى قيم خصب ، وأخذت البيئات العلمية ترمقه معجبة بتحقيقه وصنيعه فيه ، واختاره أستاذنا الدكتور طه حسين عضوا فى لجنة أحياء تراث أبى العلاء سنة ١٩٤٣ وأخرج معها مجلد اضخما دوِّنَتْ فيه ماكتبه الأسلاف عن فيلسوف المعرَّة ، وأتبعتْ ذلك بشروح ثلاثة لديوانه سَقْط الزند فى خمسة مجلدات . وتقديرا له اختارته جامعة فاروق (جامعة الإسكندرية الآن) مدرسا بها سنة ١٩٤٥ وظل بها خمس سنوات ، وفى سنة ١٩٥٠ انتقل إلى

كليـة دار العلوم أسـتـاذا مسـاعـدا ، وفى سنة ١٩٥٩ أصبح أستاذا ورئيسا لقسم النحو بها وطلابها من حوله يفيدون من علمه ما يتمثلون به تمثلا دقيقا قواعد العربية ، ويشرف على رسائلهم للماجستير والدكتوراه ، ويبصِّرهم فيها بالنهج السـديد ، وفى سنة ١٩٦٦ اختـيـر لتأسيس قسم اللغة العربية بجامعة الكويت ، ومـضى ينهض به ، حـتى إذا تكاملت سنواته أنشأ فيه الدراسة العليا للحصول على درجتى الماجستير والدكتوراه ، وفى أثناء عمله بتلك الجامعة أُنتخب عضوا بالمجمع سنة ١٩٦٩ . وعـاد إليه فى سنة ١٩٧٥ ومضى يسهم فى بحوثه ولجانه اللغوية حتى إذا كانت سنة ١٩٨١ حظى بجـائزة الملك فـيـصـل العـالمـيـة للأدب العربى، وفى سنة ١٩٨٤ أنتُخب أمينا عاما للمجمع ، وظل فى هذا المنصب إلى وفاته .

ولم أتحدث – حتى الآن – عن جهود الأستاذ عبد السلام هرون فى التحقيق والتأليف ، وهى جهود جديرة بكل تقدير ، وقد استنفد التحقيق الحظ الأوفر منها ، ويمكن توزيع عمله فيه على خمس مدارات ، أولها مدار مكتبة الجاحظ أكبر كـتّاب العـصـر العـبـاسى الذى شـغل العـرب وملأحياتهم بأدبه وفكره ، وقد أحيا له كتابه الحيوان فى سبعة أجزاء ، كما أسلفنا ، وألحق بتلك الأجزاء جزءاً ثامنا ، ونال بتحقيقه العلمى المخصب لهذا الكتاب الجائزة الأولى للمجمع سنة ١٩٥٠ . وتتابع تحقيقه لأهم آثار الجاحظ ، إذ أحيا له كتابه : " البيان والتبيين " فى أربعة مجلدات ، وكتابه : " العثمانية " وكتابه : " البرصان والعرجان " وأحيا أيضا رسائله القيمة فى أربعة مجلدات كبار ، وكل هذه الأعمال للجاحظ ذلّلها للباحثين وأقام ما فى نصوصها من عوج وأمت . ووضع لها الفهارس التفصيلية التى تعين الدارسين فى الانتفاع بها على خير وجه .

والمدار الثانى فى تحقيقات الأستاذ عبد السلام هرون المعاجم فى اللغة وفى الأنساب ، أما معاجم اللغة فقد حقق منها معجم مقاييس اللغة لابن فارس فى ستة أجزاء ، ومؤلفه يُوصِّل فيه ألفاظ كل مادة لغوية ، فيردها إلى أصل أو أصلين وتنقل عنه لجنة المعجم الكبير هذا التأصيل اللغوى فى فاتحة كل مادة من مواد اللغة مما يدل بصورة واضحة على أهميته اللغوية العلمية . وحقق بجانب هذا المعجم جزأين من معجم تهذيب اللغة للأزهرى . ومن أعماله المعجمية إشرافه على طبع معجم المجمع : المعجم الوسيط . أما معاجم الأنساب فحقق منها معجمين : كتاب الاشتقاق لابن دريد ، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ، وكان المستشرق المعروف بروفنسال نشره مملوءا بالتصحيفات والتحريفات ، فأصلحه وصححه وردّ نصوصه إلى الصواب .

والمدار الثالث فى تحقيقات الأستاذ عبد السلام هرون كتب نحوية ، بعضها من الأمهات ، وفى مقدمتها كتاب خزانة الأدب لعبد القادر البغدادى فى ثلاثة عشر جزءًا ، عُنى بتحقيقه منذ أن كان طالبا فى دار العلوم العليا كما أسلفنا ، وحقق كتاب سيبويه فى خمسة أجزاء ، وهو الكتاب الأم للنحو والنحاة منذ القرن الثانى الهجرى إلى اليوم ، وحقق كتاب مجالس ثعلب أحد أئمة النحو الكوفى ، وهو إملاءات لمختارات شعرية ونثرية ، تكتظ بالمسائل النحوية والقراءات القرآنية والأشعار المملوءة بالألفاظ الغريبة والأمثال ونال به الجائزة الأولى للمجمع فى بعض السنين . وحقق أيضا فى النحو كتابين للزجاجى هما : مجالس العلماء والأمالى .

والمدار الرابع فى تحقيقات الأستاذ عبد السلام هرون متنوعات ، منها شرح القصائد السبع الطوال لابن الأنبارى ، وهو شرح نفيس للمعلقات ، ومنها المصون لأبى أحمد العسكرى ومنها وقعة صفين لنصر بن مزاحم ، وهى تكتظ بأشعار كثيرة ، ومنها نوادر المخطوطات فى مجلدين وتشتمل على أربعة وعشرين كتيِّبا ورسالة ، وتضم كثيرا من الطرف الفريدة مثل الرسالة المصرية لأبى الصلت أمية الأندلسى الذى عاش بمصر فترة غير قليلة فى أواخر القرن الخامس الهجرى وأوائل السادس ، وهى الأثر الوحيد الذى يَعْرض شعراء القاهرة والإسكندرية فى تلك الفترة ، ومثلها فى الأهمية رسالة ابن غرسية الأندلسى فى الشعوبية والردود عليها ، وكذلك رسالة طريفة فى شراء الرقيق وتقليب العبيد ، وفيها نقف على كثير من شئون الرقيق فى المجتمع الإسلامى .

والمدار الخامس فى تحقيقات الأستاذ عبد السلام هرون مدار مشترك بينه وبين أعلام من المحققين ، من ذلك ما حققه مع لجنة إحياء تراث أبى العلاء من تعريف القدماء بالمعرى وشروح ديوانه سقط الزند ، كما أشرنا إلى ذلك فيما أسلفنا من حديث ، ومن ذلك تهذيب صحاح الجوهرى فى ثلاثة أجزاء بالاشتراك مع الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ، ومن ذلك إصلاح المنطق لابن السكيت بالاشتراك مع الأستاذ الجليل الشيخ أحمد شاكر ، وهو أصل مهم من أصول اللغة ، وحقق معه أيضا المفضليات للمفضل الضبى وبها قصائد مطولة لسبعة وستين شاعرا جاهليا ، وبالمثل حقق معه الأصمعيات وبها مطولات لسبعة وأربعين شاعرا جاهليا ، والمجموعتان أوثق نصوص الشعر الجاهلى ، ولو لم يصلنا سواهما لكانتا كافيتين فى دراسة الشعر الجاهلى دراسة وافية . وحقق كذلك شرح ديوان الحماسة للتبريزى فى أربعة مجلدات بالاشتراك مع أستاذى الكبير

أحمد أمين .

وبجانب هذه التحقيقات العلمية القيمة المنفردة والمشتركة للأستاذ عبد السلام هرون نلتقى عنده بمؤلفات كلفته غير قليل من العناء والمشقة ، من ذلك ألفُ حديثٍ نبوى مختارة من صحيح البخارى فى عشرة أجزاء ، ومنها تنبيهات وتحقيقات فى معجم لسان العرب ، ومنها الأساليب الإنشائية فى النحو العربى ، ومنها معجم شواهد العربية فى مجلدين ، ومنها كتاب الميسر والأزلام وكتاب تحقيق النصوص ، وقواعدُ الإملاء ، وحول ديوان البحترى ، ومنها تهذيب سيرة ابن هشام وتهذيب إحياء علوم الدين للغزالى فى مجلدين وتهذيب كتاب الحيوان . ووَضَعَ فهارس تحليلية لبعض المعاجم وكتب النحو المهمة ، منها فهارسُ المخصص لابن سيده وفهارس معجم تهذيب اللغة للأزهرى وفهارسُ تحليلية لكتاب سيبويه - ونشر أخيرا كتاب مقيدات ابن خلكان أورد فيه ما نصَّ فى كتابه وفيات الأعيان على ضبطه وتفسيره من الألفاظ اللغوية وأسماء الأشخاص والبلدان ، ونشر أيضا كنَّاشة النوادر ، وكان يتحف بها مؤتمرات المجمع فى السنوات الأخيرة آملا أن يرسم البسمة على الشفاه بعد جهود المؤتمرات المضنية - ومنذ سنة ١٩٤٣ كان ينشر - من حين إلى حين - بمجلات مصر والبلدان العربية بحوثا وتحقيقات لغوية سديدة .

أيها السيدات والسادة :

تلك كلمة مجملة عن جهود الأستاذ عبد السلام هرون المتنوعة طوال ستين عاما ظل فيها عاكفا على التحقيق والتأليف ليل نهار محتملا فيهما عناء شاقا ، وهو عناء كان يجد فيه متعته فى دنياه ، وخاصة حين يحيى عملا قيّما من أعمال الجاحظ أهم كتَّاب العصر العباسى غير منازع ، وكذلك حين يحيى معجما من المعاجم أو أصلا من أصول النحو العربى أو مجموعة شعرية قديمة نفيسة . ومهما تحدثت عن الأستاذ عبد السلام هرون وأعماله فلن أستطيع أن أوفيه حقه من الثناء ، عوَّض الله ، المجمع عنه خير العوض وألهم نجله الدكتور نبيل وأسرته وتلامذته وزملاءه الصبر على المصاب فيه ، ولقَّاه - بما أسدى للعربية - الرحمة والرضوان ، وأسكنه فسيح الجنان .

والسلام عليكم ورحمة الله .

شوقى ضيف

مرثية شعرية فى وداع الفقيد للأستاذ الدكتور محمد يوسف حسن
عضو المجمع

عَجِـزَ اللِّسَـــانُ . . .

إلى روح طيِّب الذكر ، الصديق ، الزميل ، الأستاذ الجليل عبد السلام هارون ، الأمين العام لمجمع اللغة العربية ، تغمده الله برحمته ، وأسكنه فسيح جنّـتــه

عجِز اللسان عن الكلام الواعى
لما نعاك إلىّ صوت النّاعى
وصرختُ : " لستُ مُصدِّقاً ، غَلِط النُّعاة ،
فليس يتركنا بغير وَداع ! "
لهفى على هارونَ ، إن فِراقَه
قد فَتَّ فى عضُدى وفى أضلاعى
قد كان فينا قبل يومٍ واحدٍ
حَبْرَ العيونِ ، ومُتعةَ الأسماع
(مرموقَ أسبابِ الشبابِ) وإن تألـ
ـقَ شيبُه فى الرأس مثل شعاع
جَمُّ النشاطِ ، ووجهُه مُتهلِّلٌ
وكدأبه سَمْحاً ، رقيقَ طِباع
يااللمَنونِ تنوشنا أبداً مُبا
غَتَةً ، وتفجؤنا بشرٍّ خداع
وتُذيبُ أفئدةَ الأحبّةِ بالضّنى
وبأدمُعٍ فوق الخدودِ سِراع

* * *

عبدَ السلام ، بلغتَ بالأدب المَدَى
حُيِّيتَ أستاذاً ورَبٌّ يراع
قد كُنتَ ياهرونُ للفصحى طبيـ
ـبَ تطوُّرٍ ، نَطِساً ، طويلَ الباع
وملكتَ منها السِّرَّ فانقادت ذَلُولاً
فى يديك كتابعٍ مِطواع
أحيَيتَ مَيْتَ تُراثِها وجلوتَه
دُرراً تُنمِّقُها بفنٍّ صَناع
وملأتَ منه خزائناً بعجائبٍ
حصَلْتَ على التقدير بالإجماع

قد كُنتَ فيه رائداً منذ الصِّبا
وأميرَهُ شيخاً بغير نزاع
لهفى على " كُنَّاشة " تحوى النوادرَ
كالجواهرِ ، جَمَّةَ الإمتاع
فى كل عامٍ كنتَ تُتحفها بِسمْـ
ـطِ لآلىءٍ فى غاية الإبداع
مَن بعد هارونٍ يوالى أمرَها ؟
ياويلتا إذ ينتهى لضَيـاع !

* * *

هـارونُ ، كيف وفـاءُ حقِّـك بالـرِّثا ؟
هـذا بحقٍّ فـوق طـوقِ يراعـى
كم كنتَ سَمْحاً ، طيِّباً ، كم كنتَ فى
مضمار حُسنِ القولِ أدأبَ ساع
زانتك أخلاقُ الشيوخِ وجِدُّهم
ورَفلتَ فى مـرحِ الفتى الشَّعشاع
طلْقَ المُحيًّا ، فاكهاً ، وملاطِفاً
لكنَّما لم تُـزرِ بالأوضـاع
كم كنتَ صُلب الرأى لكن هادئا
تزجيه بالحسنى وبالإقناع
كم كنتَ مجتهدا ، دؤوباً طامحاً
تهوى العُلا ، لكن بلا أطماع
كم كنتَ صادقَ هَمةٍ ، كم كنت جلْـ
ـداً كيِّس الإمضاء والإزماع
وأثار ذلك شانئين فلم تكن
منهم على ضجرٍ وضيق ذراع
بل كم صفحت وما طويت ضغينةً
ودفعت بالإحسان ، لا الإقذاع
حتى مُحبُّوك استغلُّوا فيك ما
قد حُزت من نُبلٍ وطيبِ سماع
(سكن الأحبة والعِدا ، وفرغت من
عَنَتِ الخصوم ، ومن هوى الأشياع)
وسكنت فى عليا الجِنان منعماً
فى عالمٍ آمنٍ بغير صراع

دكتور محمد يوسف حسن

كلمة الأسرة
لنجل الفقيد الدكتور نبيل عبد السلام هارون
بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

وبعد فأشكر لأساتذتى الأجلاء كلمات الوفاء نثرا وشعرا ، والتى عبر بها كل من أستاذى الدكتور شوقى ضيف وأستاذى الدكتور محمد يوسف حسن ، عبرا بها عن جميل تقدير مجلسكم المهيب لحياة أفناها الوالد الراحل فى خدمة لغة القرآن العظيم ، وإحياء تراث أمة الإسلام ، وجلال نصوصه ومخطوطاته مما اعتراها من عوادى الزمن وعبث الأعداء ، حتى صار بحق : مؤسس علم تحقيق التراث وواضع منهجياته .

ولقد كان حسن تقدير زملائه فى مجمعكم العتيد ومن ورائهم جموع علماء اللغة والتراث وأتباع السلف الصالح عبر ديار العروبة والإسلام خير مشجع ومعين للوالد على ذلك العمل الدءوب الذى كرس له حياته ، وقدم به نموذجا نادرا فى الإخلاص لرسالة نذر لها نفسه - إرضاء للمولى جل وعلا القائل : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » ، وامتثالا لأمره تعالى : « قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين »

وهكذا قد كان شأنه كله فما عهدناه - نحن أبناؤه - قد بدّل يوما منهجه أو أخلد للراحة حتى آخر سويعات عمره .

أساتذتى الأجلاء - رواد الجيل :

لئن كان الجاحظ - الذى حقق الوالد أشهر موسوعاته والعديد من رسائله ، حتى اقترن اسمه به - لئن كان الجاحظ قد قضى نحبه حين تساقطت عليه مجلدات العلم ، فقد مضى والدى حاملا عبء قرابة الخمسين ألف صفحة من الأعمال المؤلفة والمحققة ، والتى نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يثقل بها ميزان حسناته ، وأن ينفع بها أجيال الأمة إلى يوم الدين ، وبين يدى آخر ما خطت يمينه فى دراسة بعنوان :

" تجربتى فى إحياء التراث " ختمها بعبارة تجمع فى بلاغتها كل هذه المعانى ، يقول فيها : " هذه تجربتى فى أثناء نصف قرن من الزمان بذلت فيه ولم أبخل ، وصبرت ولم أجزع ، لم أستعن غير الله ولم ألجأ إلى سواه ، بيده الخير

وهو على كل شيء قدير "

أساتذتى الأجلاء - رواد الجيل :

لقد بشر رسولنا الأمين عباد الله الصالحين بامتداد برهم وانتشاره بعدهم فى حديثه الشريف : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » . أما الأولى - الصدقة الجارية - فبينه وبين ربه يعلم جليها وخفيها . أما الثانية - العلم النافع - فإنها لأمانة فى رقابنا جميعا أن نتعهد كل ما أحيا من أشجار التراث الخالد . وأما الثالثة - الولد الصالح - فكل تلاميذه وعارفى فضله هم ذلك الولد الصالح ، فمنذ أن رحل راضيا مرضيا من عالم الشهود إلى عالم الخلود ، لم يعد عبد السلام هارون ملكا لأسرته الصغيرة وحدها بل أصبح بأعماله ملكا لأمة بأكملها اتصل تراثها الخالد بحاضرها المجيد ومستقبلها المأمول - بفضل جهوده وجهود زملائه من الرعيل المبارك من العلماء .

وختاما شكر الله لكم طيب رفقتكم لراحلنا الكريم ، وجميل مواساتكم لنا ولأسرة التراث الخالد ، وأبقاكم الله ذخرا ومصابيح هداية لأمة حيرى تتلمس الهدى واليقين ، وطوبى لكم يامن نعتم بالغرباء :

" طوبى للغرباء أولئك مصابيح الهدى تنجلى بهم كل فتنة عمياء - فى هذا الزمان وكل زمان " .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

د . نبيل عبد السلام هارون